الفصل الثامن

تعليمُ كبارٍ للتنويرالتربوى العام،

من أواخر القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الثانية

مقدمة:

كانت الصورة السائدة حتى أواسط القرن التاسع عشر من تعليم الكبار نوعين : أحدهما ما كان يتم فى المساجد من دروس دينية تبث ملامح من العلم الدينى التى تجعل من مكتسبيه على قدر من الوعى بأصول الدين وتعاليمه، دون أن تكون هناك بداية عمرية معينة، فالمفترض أن يكون المقبلون على مثل هذه الدروس قد تعلموا القراءة والكتابة من خلال حفظ القران الكريم، بعضه أوكله، فى الكتاتيب. ولم يكن الهدف من هذه الدورس شغل وظيفة معينة، وإن كانت من الناحية العملية تتيح لصاحبها أن يمارس بعض المهام العامة كأن يكون مأذونا أو خطيبا دينيا أو مقرئا للقرآن فى المناسبات، أو واعظا.

أما النوع الثانى ،فهو ما كان يتم فى مواقع العمل المختلفة حيث كان المزاولون للعمل والمهرة فيه حريصين على تعليم المبتدئين فنون العمل وما قد يتعلق به من معلومات، كما كان يحدث فى مختلف المزارع والحقول، حيث كانت مادة التعليم هى جملة التراث السابق فى فلاحة الأرض، وكما كان يحدث فيها مثل هذا أيضا فى الحرف والصناعات المختلفة، وحيث كان هناك ما يشبه «التلمذة الحرفية» يتدرج فيها المتعلم إلى أن يصبح «أسطى» يمكن الاعتماد عليه.

هذان النوعان إذن كانا يتعلقان، إما بالعلم الدينى، وإما بعمل حرفى لكسب الرزق.

وقد جاء الاهتمام بتعليم الكبار فى مرحلة متأخرة عن تعليم الصغار، لكن

الاهتمام بالتعليم على وجه العموم، وحتى ولو كان منحصرا فى دائرة الصغار كان مقدمة أساسية وخطوة ضرورية لبروز تعليم الكبار.

ومن هنا فإن تعليم الكبار يعبر عن أقصى درجة من الوعى بأهمية التعليم وضرورته، وتصبح الخطوة المنطقية فى تتبع المسار التاريخى لتعليم الكبار أن نتوقف وقفة قصيرة بعض الشئ أمام البذور والجذور، أمام تلك المرحلة التى برز فيها الوعى بأهمية التعليم وضرورته على وجه العموم.

اولا. الوعى بضرورة التعليم

فالحق أن البشرية منذ قرون عدة تشهد إيمانا راسخا بأهمية التعليم وضرورته، وإن تفاوتت الأمم فى درجة إنزالها هذا الوعى منزل التطبيق والتنفيذ، لكنها على أية حال كانت تتصور أن التعليم وكأنه عملية تشبه عملية بناء المبانى، وخاصة تلك التى تكون على هيئة «العمارات السكنية» فلابد أن تبدأ من الطابق الأول، أى أن الترجمة العملية للوعى بأهمية التعليم وضرورته كانت تعنى فى التطبيق أن تبدأ بتعليم الصغار. فلما تعمق الوعى بمفهوم التعليم تحت ضغط اتساع آفاق التقدم وسرعة إيقاع العصر وتنوع متغيراته، تبين للجميع أن من المستحيل أن تحدد فترة بعينها لابد أن يبدأ التعليم عندها، وأن هذه الفترة هى سنوات العمر الأولى، فهو ضرورى فى كل لحظة من لحظات العمر، وفى كل مكان يوجد فيه الإنسان، ومن هنا صح قولنا أن تعليم الكبار يعد ذورة الوعى بأهمية التعليم وضرورته.

ولعل هذا ما يوضح لنا كيف أن رائد التنوير العربى فى العصر الحديث رفاعة الطهاطاوى، اذ يكشف فى العديد من صفحات كتاباته وعيا بأهمية التعليم لبناء الأمة نجده يعبر عن هذا الوعى فى صورة عملية تربية تبدأ فى مرحلة العمر الأولى، على أساس أن الأمة اذا وجهت كامل جهدها لتعليم كافة أبنائها الصغار، فسوف يتم تعليم المجتمع بكامله، حيث أن أجيال الكبار لابد أن تحمل عصاها وترحل عن هذه الدنيا إن عاجلا أم آجلا. فها هو مفكرنا الكبير يعقد فصلا فى كتابه الشهير (المرشد الأمين للبنات والبنين) بعنوان «ضرورة تعميم التربية» ، وكان مما قاله فى هذا الشأن

... «وبالجملة فتربية أولاد الملة وصبيان الأمة وأطفال المملكة ذكورا وإناثا من أوجب الواجبات، كيف لا والتربية مطلوبة حتى فى غير الآدمى» (١) ، وضرب مثالا لذلك أن جماهير الناس فى كل مجتمع تعنى بتربية ما ينفع الإنسان من الحيوانات المنزلية كالخيول النافعة فى الجهاد ودود القز.. إلخ، فكيف لا يكون صاحب هذه الحيوانات وسيدها أولى بعملية التربية والتعليم؟

واذا كان المبدأ الديموقراطى فى التعليم يقتضى أن ينال كل مواطن حقه فيه بغض النظر عن أية عوائق من جنس أو رأى أو لون أو مال، فلابد ـ فى ظل هذا المبدأ ـ من «تعميم التعليم، لكننا لا نستطيع القول أن هذا المبدأ كان أساسا من الأسس التى قام عليها التعليم المصرى فى القرن التاسع عشر، إنما كان الأمر القائم هو «نشر التعليم» حيث لا يقتضى الموقف هنا أن يصل إلى «كل» الناس، أو حتى «معظمهم».

ولقد بذل محمد على جهودا ملموسة «لنشر التعليم» ، لكن الظروف حالت بينه وبين «تعميه» ، يقول رفاعة الطهطاوى : «وأما تربية الأهلية (الجماهير) وإدخال المعارف فى أفراد مراتب الرعية على اختلاف درجاتهم، والتسوية بين الأعيان والرعاع فى مدى التعليم الأهلى، فلم تساعده (محمد على) المقادير على كمال الالتفات إليه وقضى قبل تكميله نحبه رحمة الله عليه»(٢) .

ولم يكن عباس الأول مؤمنا بفكرة تعميم التعليم على وجه الإطلاق، بل ولا نشره، إلى الدرجة التى جعلته يلغى ماتبقى من المدارس التى أنشاها محمد على فأصدر أمره فى الرابع من جمادى الأولى سنة ١٢٦٥هـ (مارس ١٨٤٩) : «بما أن مدرسة المبتديان الكائنة بالمحروسة وجدت الآن كافية لأداء مطلوب المدارس الميرية، فصار الآن لا لزوم لمكاتب المبتديان الكائنة بالإقليم بطرف الميرى (أى على نفقة الحكومة)، وصار مقتضى إبطالهم» (٣) . إن القضية أمام هذا الحاكم لم تكن هى : ما احتياجات «المجتمع»؟ وما الشروط اللازمة لتطويره وتقدمه؟ وإنما هى : ما حاجة «الحكومة» من الكتبة؟ ففى ضوء تقلص وظائفها الاجتماعية والاقتصادية، لا تحتاج إلا إلى بضع عشرات من صغار الكتبة.

وعندما صدرت اللائحة الداخلية لمجلس شورى النواب فى ٢٢ أكتوبر سنة

وعندما صدرت اللائحة الداخلية لمجلس شورى النواب فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٦٦ نبه العضو «أتربى بك أبو العز» زملاءه إلى نص المادة (٦١) من اللائحة التى تقول [٤] : «حيث ذكر فى بند ٢، بند ٣، بند ٤، وبند ٥ فى اللائحة الأساسية الأوصاف اللازمة فى حق من يحصل انتخابهم لوظيفة العضوية بمجلس شورى النواب، ففى الانتخاب السابع، تقضى أن الذى يحصل انتخابهم للعضوية تكون لهم دراية بالقراءة والكتابة، زيادة على الأوصاف المقررة فى حقهم، وفى الانتخاب الحادى عشر، يحتاج أن الذين يجوز لهم انتخاب النواب يكون لهم إلمام بالقراءة والكتابة، علاوة على الأوصاف المنصوصة فى شأنهم أيضا».

ومعنى هذا ضرورة معرفة النائب القراءة والكتابة بعد ثمانى عشرة سنة، واشتراطها فى الناخب بعد ثلاثين سنة، واقترح لمواجهة هذا الأمر« بكثرة إيجاد المكاتب فى سائر بلاد الأقاليم». وقد تداول المجلس فى هذا الأمر وأصدر مقررات يكفل تنفيذها نشر التعليم بفتح العديد من المدارس، وأهم ما جاء فيه أن يكون الدخول فى هذه المدارس من «عموم الناس بالرغبة من دون استثناء، مسلم أو قبطى، غنى أو فقير»[٥] . وتقدم على مبارك برسالة بآرائه فى القضية ومشروع لائحة يقوم على تنفيذ المبادئ العامة التى أقرها مجلس شورى النواب، وبعد الدراسة صدرت لائحة ١٠ رجب سنة ١٢٨٤هـ (٧ نوفمبر ١٨٦٧) بذلك.

ويتبنى قوميسيون المعارف فى تقريره عام ١٨٨٠ الفكرة نفسها، فذهب إلى أن إصلاح التعليم لا يتم إلا «بانتشار دائرة المعارف بين جميع أهالى الديار وسريانها بالتدريج حتى تصل إلى أهالى الأرياف لكى توجد عند ذرياته المستجدة فى حق أنفسهم وحق عائلاتهم وحق الحكومة». [٦]

وواجه الطهطاوى تلك الدعوى الباطلة بأن الاشتغال بالعلوم يصرف الإنسان عن إعطاء كل عمره للعبادة، فوصف هذه الدعوى بالضلال والعبث. ولقد عبر أصحاب هذه الدعوى عنها نثرا وشعرا، ومن شعرهم الركيك قول بهاء الدين أبو الحسن العاملى لمن يصرف عمره فى جمع كتب العلم ومطالعتها [٧] :

على كتب العلوم صرفت مالك وفى تصحيحها أتعبت بالك

وأنفقت البياض على السواد إلى ما ليس ينفع العباد

وقول آخر

أيها القوم الذى فى المدرسة كل ما حصلتموه وسوسة

فكركم إن كان فى غير الحبيب ما له فى النشأة الأخرى نصيب

واجه الطهطاوى هذا الضلال فكتب عن قيمة العلم فى الحياة الدنيا، وعن أن تعلم العلم والاشتغال به هو «قيمة» فى حد ذاته، بل ونوع من التطبيب للنفس البشرية تبرأ به من كثير من همومها ووساوسها وأسقامها، فقال : «إن دراسة العلم فى حد ذاتها أفضل ما يشتغل به الإنسان وأحلى ما يصرف فيه أوقات حياته وأفضل لذات الدنيا... إن مطالعة الكتب لا يضيق فيها صدر الإنسان فى مدة عمره» (٨).

لكن مصر، ابتليت بوباء الاستعمار البريطانى عام ١٨٨٢، ومن المعروف أن الاستعمار عندما ينكب بلدا من البلدان، يصبح همه الأول أن يثبت أركانه ليضمن استمراره ودعم وجوده ، هذا الاستعمار لا يكون قد زال كلية إذا تركت مقدرات التعليم بيد أبناء الوطن المنكوب ينشرونه ويتوسعون فيه، إذ ما دام التعليم هو أداة صناعة المواطن، فمن المؤكد أن يجد الاستعمار نفسه أمام شعب به من الرجال من لا يطيقون صبرا على ما هم عليه من استغلال وجمود وتبعية فينقلبون عليه شر انقلاب، معيدين لبلادهم حقها فى الاستقلال والحرية والتقدم، ولذا حرص الاستعمار البريطانى على الهيمنة على التعليم المصرى وتوجيهه وجهة تقلل فيه فرصه أمام المواطنين.

ومن هنا فإن من يتتبع أحهزة الرأى فسوف يلمس مدى تقدم الوعى بأهمية التعليم وضرورته إلى مرحلة أكثر تقدما، فالمسألة لم تعد مجرد «نشر» للتعليم، ولا حتى «تعميمه» وإنما ضرورة أن يكون «ملزما». صحيح أن مبدأ الإلزام لم يظهر تشريعيا إلا بصدور دستور ١٩٢٣، لكن، هكذا سنن التطور، أن يسبق الوعى أولا، ثم تجئ مرحلة التشريع، وبعد ذلك التطبيق والتنفيذ. فها هو كاتب لم يوقع باسمه ينشر دراسة فى مجلة الهلال أكد فيها أنه(٩) إذا كان الآباء مطالبون بحفظ وجود أطفالهم بالغذاء والكساء ريثما يشتد ساعدهم ويستقلون بأنفسهم، فهم أيضا

مطالبون بتربية عقول هؤلاء الأطفال وتهذيب أخلاقهم ليتعودوا على معارك الحياة. ولكن من الغريب أن الآباء يتجاهلون هذا المبدأ وهذه القاعدة الصحيحة، ومن هنا كان ينبغى على الدولة، ما دامت وظيفتها هى حماية العاجز ونصرة الضعيف والاقتصاص للمظلوم من الظالم، أن تكون مسئولة عن تقصير الآباء فى واجب التعليم. أليست تحاسبه إذا قصر فى تغذيته وكسائه وتحمله على القيام بهذا الواجب؟ فلماذا لا تقوم بذلك بالنسبة للتعليم :

«ولذلك كان للحكومة أن تجبر الآباء على تعليم أولادها ولا سيما إذا كانوا لا يزالون فى أوائل أدوار حضانتهم» .

وكان على وزارة المعارف، إزاء الضغوط الشعبية والفكرية أن تتخذ خطوات لإعداد مشروع يمكن أن يؤدى بالفعل إلى تعميم التعليم الأولى بين جميع أفراد المجتمع بطريقة تدريجية، فشكلت لجنة برئاسة إسماعيل حسانين (باشا)، وكيل الوزارة سنة ١٩١٧، وأصدرت هذه اللجنة تقريرا هاما، ومما جاء فيه (١٠) :

- أن تعميم التعليم البسيط المناسب بين طبقات الشعب من الأمور التى تمس الحاجة إليه مسا شديدا من الوجهات العلمية والاجتماعية والإدارية والسياسية.
- أن توسيع نطاق التعليم الأولى توسيعا أفقيا لا يتيسر إذا بقى التعليم على حاله التى كانت قائمة، وقد أثبت الإحصاء أنه لم يبذل جهد يذكر فى سبيل محاربة الأمية أثناء السنوات العشر السابقة على تأليف اللجنة .
- نصح التقرير الحكومة بألا تتوانى لحظة فى وضع غرض نصب عينيها يؤمل الوصول إليه فى ميعاد لا يكون بعيد المدى، وذلك بأن تقدر النفقات التى تلزم المشروع على وجه التقريب وأن تجعل تحصيل الأموال اللازمة له على أساس معين يسار عليه وأن تضع من القوانين ما يحقق تقدم التعليم بقدر معلوم فى كل مرحلة من مراحله.

لكننا لا نستطيع أن نغض الطرف عن آراء أخرى كانت ترى خطرا على المجتمع من شيوع التعليم فيه، وحجة أصحاب هذا الرأى تتلخص فيما يلى (١١) :

- أن مجتمعنا ليس فى حاجة إلى توسع فى التعليم، فوظائفه محدودة ومتطلباته لا تستلزم إلا عددا قليلامن المتعلمين.

- كما أن ما سيترتب على التعليم من إثارة للوعى وتحرك لمستوى الطموح وتزويد أبناء الكادحين بأسلحة تمكنهم من المنافسة الاجتاعية سينجم عنه بالضرورة سخط شعبى بصور ودرجات مختلفة، وهذا السخط سيتولد لأن التعليم قد يزود بإمكانات للحراك الاجتماعى، بينما المجتمع بقوى التحكم والسيطرة فيه لن يسمح بمثل هذاالحراك. ولعل هذا ماقصده كاتب من كتابنا سنة ١٩٢٤ بقوله(١٢):

«أيها المفكرون ودعاة الإصلاح، لا تدعو إلى تعميم التعليم ولا الإكثار من دوره فى بلادنا.. فالعلم الكثير والفقر الشديد يحدثان فورانا اجتماعيا نحن فى غنى عنه ونشفق على بلادنا منه» . ولعل هذا أيضا ما قصده «مريت غالى» سنة ١٩٣٧ عندما أكد أ«ن فكرة جهل الطبقات الفقيرة شرط من شروط الثبات الاجتماعى ودعامته، لها وجه من الحق فى مصر» .

والأكثر مرارة حقا أن نجد مفكرا كبيرا، حصل على ثلاث شهادات دكتوراه، وهو زكى مبارك، دعي إلى أن يقيد التعليم فى أضيق دائرة ممكنة لأن طبيعة الحياة لابد أن يكون فيها «فاضل ومفضول وراجح مرجوح فكل دعوة إلى المساواة بين الحظوظ العلمية لن يكون لها نصيب غير الاندحار لأنها خروج على الفطرة والطبع» ، ومن هنا يؤكد مفكرنا على أننا لسنا بحاجة على الإطلاق للدعوة إلى تعميم التعليم «لأن العلم حين يبذل لجميع الناس قد يصل بهم إلى نوع من الترف يضر أكثر مما يفيد، كما أن الدعوة إلى تعميم التعليم لم يهتف بها ضمير الشعب، بل هي دعوة منقولة نقلا حرفيا عن بعض الأمم الأوربية والأمريكية» .

ثم يكمل زكى مبارك دعوته بقوله(١٣) : «الرأى كل الرأى أن نرجع إلى الفطرة فنترك الفلاحين فى حقولهم، والصانعين فى مصانعهم ونترك حياة العلم لأهل الرغبة والشوق من الذين أعدتهم المقادير للتسلح بأسلحة التعليم والتثقيف».

واذا كانت حركة «التحديث» قد بدأت على يد محمد على فى أوائل القرن التاسع عشر، ولعب التعليم النظامى دوره فى هذا، نجد أن مصر فى عهد الخديوى إسماعيل بدأت تعرف حركة تتجه إلى «التنوير التربوي» العام، بصورة هى أشبه بالتثقيف العام، لا تحده «أنساق معرفية» محددة ولاتقيدها فترة زمنية بعينها، طالت أو قصرت، ولا تقتصر على مكان دون غيره، ولا تضع نصب عينيها هذا الموقع أو ذاك من مواقع التوظيف المهنى.

وقبل أن يمضى القارئ فى قراءة الصفحات التالية، نرجوه أن يمحو من ذهنه هذا المفهوم التقليدى الشائع بين كثير من الناس أن تعليم الكبار يرداف محو الأمية، بل ولا نريد له أن يربط بين تعليم الكبار وتلك البرامج التعليمية التى تكسب طالبيها مهارة عملية معينة، وإنما ينصب هذا النوع من التعليم علي كل إضافة معرفية عملية لمن تعدوا مرحلة الطفولة، ولذلك فقد يفاجأ القارئ بقراءة موضوعات لم يألف قراءتها فى تلك الكتابات التى تكتب عن تعليم الكبار، ولعل الموضوع الذي سوف نبدأ به أسطع برهان علي ذلك، فتعليم الكبار يرتبط فى الأذهان كثيرا بمعنى يجعله موجها الى الفقراء والبسطاء ومحرومى التعليم أو بسيطيه، بينما نحن نعمد إلى النظر إلى الجهود التى بذلت على طريق الوعى الثقافى العام من مجالات تعليم الكبار، كذلك تلك المناقشات والندوات التى تستهدف تعميق الفكر الثقافة، ومن ثم سوف يلاحظ القارئ عنايتنا بجهود كانت تخص ما يمكن أن نسميهم «صفوة فكرية»، حوت المزيد من الفكر والثقافة، وما كان يتأتى لها ذلك إلا عن طريق المناقشات والندوات ومايسمى الآن «بالعصف الفكرى» أو «التفاكر».

وقد تبدت تلك الحركة فى صور وقنوات مختلفة نبسط القول فيها فى الصفحات التالية :

المقاهى:

كثيرون من معاصرى أيامنا الحالية يعرفون عن المقهى أنه مكان للتسلية البحتة وقضاء وقت الفراغ بلعب «الكوتشينة» والطاولة والدومنا والشطرنج، وشرب الشيشة، وتناول المشروبات الساخنة والباردة، ومايصحب كل هذا من دردشة عامة غير منظمة، لكن تاريخ مصر الحديث عرف بعض المقاهى التى كان لها دور ثقافى عام ، قد لاينطبق عليه ما نركز عيه من حيث « التنوير التربوى» العام، ولكنها كانت

عام ، قد لاينطبق عليه ما نركز عيه من حيث « التنوير التربوى» العام، ولكنها كانت تقدم ألوانا من الثقافة الشعبية الشائعة، وقد وصف علماء الحملة الفرنسية بعض مقاهى القاهرة أوصافاً شائقة (١٤) ، فالمقهى كان رحبا متسعا، مبنيا من طابق واحد فى الغالب، ويتميز بالهندسة المعمارية الإسلامية فى الزخارف وفى أبوابه ونوافذه وسقوفه وأعمدته، ويجلس فيه على مصاطب مبنية حول أعمدة، ونقوش، عادة بالحصير، ومعظم المقاهى تحيط بها أماكن فسيحة تعلوها تكعبيات العنب، وقد تكون فى مقدمتها التى تضم أيضا مصاطب مبنية بالحصير تعد لجلوس الزبائن.

وكانت المقاهى لا تخلو من فن من الفنون السائدة فى المدينة، وهى : السير الشعبية التى يرويها شاعر الربابة، والرقص من العوالم،والغناء ، وألعاب خيال الظل أو فنون الأدباتية التي يقدمها بعض أصحاب المواهب، والنقد والتجريح فى كثير من الأحيان. واذا كان الإنشاد الشعري قد شاع في المقاهي حيث تروي فيه الملاحم الشعبية، فقد كان هناك أيضا «الإنشادالدينى» الذى كان يركز على إنشاد المدائح النبوية فى المولد النبوى الشريف، وغير ذلك من الأناشيد الدينية التى يرددها المداحون والمنشدون فى المناسبات الدينية (٢٤) .

وقد تحدث «كلوت بك» عن هؤلاء المنشدين الذين يطلق عليهم اسم الشعراء بتفصيل، وقال أنهم طائفة خاصة من الناس يروون تلك القصص على مسامع الجمهور، وهو ينقسمون إلى أقسام تختص كل فرقة منهم برواية قصة واحدة، مثل قصة أبى زيد الهلالى والظاهر بيبرس، والأميرة ذات الهمة، وغيرها.

ولم يشتهر مقهى فى تاريخ الثقافة المصرية الحديثة مثل شهرة مقهى «البوسطة» بميدان العتبة بالقاهرة (١٦) ، وترجع شهرتها إلى الشيخ جمال الدين الأفغانى الذى اتخذها فى بعض الأحيان مكانا للقاء مع تلاميذه ومريديه، ومن الواضح أن الأفغانى اتخذ من هذا المقهى مكانا للاجتماعات حتى تكون كل الآراء التى تقال، والمناقشات التى تجرى، علانية يستطيع كل عابر سبيل سماعها. كان الأفغانى يجلس فى صدر المقهى، حتى يبزغ النهار فيعود إلى داره، ويكفى أن تعرف أن من جلسائه : محمد عبده، وسعد زغلول، وأديب إسحاق، ويعقوب صنوع، ومحمود سامى البارودى، وإبراهيم الهلباوى، وإبراهيم المويلحي، وعبد الله النديم، والذين صاروا بعد ذلك أعلام النهضة فى مصر.

كذلك كان مقهى بار اللواء من المقاهى الشهيرة، وقد تسمى باسم جريدة اللواء التى أصدرها مصطفى كامل، وكان بشارع مظلوم أمام مبنى الأهرام القديم، ويذكر زكى مبارك أنه عندما سافر إلى العراق لم يجد فى بغداد مقهى مثل بار اللواء التى كانت منتدى لأهل الفكر والأدب والصحافة، وأن أنطوان الجميل الذى كان رئيس تحرير الأهرام كان يترك مكتبه فى الجريدة ليتخذ من إحدى مناضد المقهى مكتبا له حتى يجمع من حوله الأدباء والشعراء.

دروس الأفغانى:

لعل أول الجهود التى تمت على هذا الطريق تلك «الدروس» و «المحاضرات» التى كان يلقيها «جمال الدين الأفغانى» (١٨٣٨ ـ ١٨٩٧) عندما جاء إلى مصر مرتين، الأولى فى عهد الخديوى إسماعيل ،والثانية في عهد الخديوى توفيق، على العديد من راغبى التزود بالمعرفة العامة سواء أكانت دينية أم فلسفية أم سياسية. كان جمال الدين يلقى دروسه على تلاميذه فى بيته بخان الخليلى وفى بيوت البعض من أعوانه. وكان يقرأ عليهم بعض كتب المنطق والفلسفة والتصوف، ويستفيض فى شرحها بطريقته الخاصة القائمة على التحليل والتأثير فى آن واحد، وقد دعا تلاميذه إلى الاهتمام بالصحافة وبالأدب وسبيله فيهما الصدق والأمانة والدفاع عن الحرية والدين، وكانت تفيض عذوبة وسماحة مما كان له الأثر البالغ فى نفوس سامعيه(١٧)

ولقد أيقن جمال الدين أن لا سبيل إلى إيقاظ المصريين من نومهم إلا بتعليمهم، لأن الجهل أصدق حليف للعدو، وأهم عقبة فى طريق تأليف القلوب وشحذ الهمم ووضع أسس التضامن المثمر بين أبناء البلد الواحد. لكن كيف يمكن النفاذ إلى قلوبهم، وكيف يمكن التأثير فى تفكيرهم ما لم توجد طبقة من الكتاب تعمل على إثارة حميتهم حتى يفيقوا من ذهولهم وحتى ينهضوا من ركودهم؟

كان السبيل إلى إصلاح النفوس والعقول لايكون إلا بإنشاء مدرسة جديدة من الكتاب، ولن تفلح هذه المدرسة الناشئة إلا إذا أحيت أساليب اللغة العربية، ونأت عن السجع المتكلف ، لكى تعبر عن الآراء السياسية والاجتماعية الحديثة بلغة سليمة تنفذ إلى عقول الجميع، خاصة وعامة (١٨) . هذا وقد أدرك الأفغانى أن الكتابة فى الصحف أقرب إلى عقول العامة، وأكثر وقعا فى نفوسهم وأشد تحريكا لشعورهم،

لذلك جهد فى إنشاء بعض الصحف عن طريق جماعة من أتباعه ومريديه من السوريين المقيمين فى مصر، وطلب إلى تلميذيه الشيخ محمد عبده، وإبراهيم اللقانى أن يكتبا مقالات أدبية واجتماعية فإنه « لا جامعة لقوم لا لسان لهم، ولا لسان لقوم لا آداب لهم، ولا عزة لقوم لا تاريخ لهم، ولاتاريخ لقوم إذا لم يقم منهم أساطين تحمى وتحيى آثار رجال تاريخها ، فتعمل عملهم وتنسج على منوالهم»، وبهذا وحده تستطيع الأمة الاحتفاظ ببقائها، فالتعليم القومى أساس لكل نهضة، واللغة والقومية لا تزدهر فى عصور الاحتلال والتدهور، وإنما تنمو فى عصر الحرية والتقدم (١٩).

وقد وصف الشيخ محمد عبده أثر الأفغانى فى هذا الشأن فكتب يقول : «كان أرباب القلم فى الديار المصرية القادرون على الإجادة فى المواضيع المختلفة منحصرين فى عدد قليل، وماكنا نعرف منهم إلا عبد الله باشا فكرى، وخيرى باشا سيد أحمد على ضعف فيه، ومصطفى باشا وهبى، على اختصاص فيه ومن عدا هؤلاء فإما ساجعون (يستخدمون أسلوب السجع) فى المراسلات الخاصة، وإما مصنفون (مؤلفون) فى بعض الفنون العربية أو الفقهية، وما شاكلها. ومن عشر سنوات، (أى بعد شيوع آثار الأفغانى) ترى كتبة فى القطر المصرى، لا يشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم، وأغلبهم أحداث فى السن، شيوخ فى الصناعة، وما منهم إلا من أخذ عنه أو عن أحد تلاميذه أو قلد المتصلين به»(٢٠).

كذلك قرظ العقاد مدرسة الأفغانى التعليمية، وهو بسبيل بيان أثرها فى تكوين الشيخ محمد عبده، فقد كان الأفغانى يلقى دروسا نافعة فى كتب المنطق والحكمة والتصوف وأصول الدين، ولكن الدروس الروحية التى كانت تسرى من أحاديث هذا المصلح العظيم كانت أعظم وقعا وأعمق أثرا من دروس الأوراق والأسفار، ولم تكن شروحه للكتب التى كان يقرأها على تلاميذه معانى «فكرية» تستخرج من ألفاظها ومعانيها، ولكنه كان يشرح العبارة ليستخرج منها قوة حية تسرى إلى النفس فتحركها إلى العمل ، «وكأنما الكلمات المشروحة منها قوى من الكهرباء لا يستقر عليها قرار» (٢١).

وينتهز العقاد الفرصة ليبين أن الأفغانى بطريقته فى التعليم كان معلما فذا، ولماذا؟ خير الأساتذة على ما نعلم هوالأستاذ الذى ينبه فى التلميذ ملكات ذهنه وضميره ويستجيش فى قرارة طبعه غاية وسعة من الاجتهاد والهمة على حسب فطرته واستعداده ،فليس بخير الأساتذة من يجعل تلاميذه نسخا منه تحكيه ولا تزيد من عندها شيئا غير الاقتداء به والعمل على غراره، فهذه تربية التقليد والمحاكاة تصلح للذين خلقوا للاتباع ولاتصلح للذين خلقوا على نصيب من قدرة الاستقلال والاجتهاد».

كان الأفغانى يحث تلاميذه على أن يكتبوا ما يسمعوه منه فى المحاضروات ثم يتلونه فى اليوم التالى فى مجلسه، فكان ذلك داعيا لأن يتبارى التلاميذ فى هذا المضمار، ونتج عن ذلك حسن التحرير ، ونستطيع أن نتبين أثر ذلك فى المقالات التي كتبها سعد زغلول في بداية حياته في جريدة التجارة، العد ٧٨ فى ٦ / ٩/ ١٨٧٩ حيث نشر مقالا تحدث فيه عن همة وكيل الغربية وفضله ومآثره فى تلافى غوائل قطع الجسور فى موسم الفيضان، والذى كثيرا ما كان يهدد كيان قرية أبيانة (بلد سعد زغلول) ويشكل خطرا على حياتهم، والذى أعيا الكثيرين ممن سبقوه فى علاجه أو وضع حد له. ففى هذا المقال نستطيع أن نتبين سلاسة فى الأسلوب وبعدا عن الإغراق فى الزخرفة اللفظية إلى حد كبير، كما نستطيع أن ندرك ما هو أهم من ذلك بكثير، أن سعد زغلول، الفتى ذو العشرين ربيعا، تفتحت عقليته على يد الأفغانى فبدأ يطرق الأمور العامة التى تهم مواطنيه ، كما نتبين منها مفهوم سعد زغلول أن الخدمة العامة حل مشاكل الجماهير ، كما أنها جزء من الوطنية وحب الوطن(٢٢).

كان هذا إذن شكلا من أشكال تعليم الكبار موجه إلى «صفوة» فكرية، على أساس «تدريبهم» على صورة من صور الكتابة للجمهور تساعد على تفتيح الأذهان وتنوير الرأى العام بقضايا الوطن وهمومه، بدلا مما كان سائدا من أساليب تعتمد على التكلف والزخرفة اللفظية، ومنقطعة الصلة بحياة الناس ومشكلاتهم، قد لا يقرأها إلا القليلون، وحتى هؤلاء القليلون اذا قرؤها لم يستفيدوا منها .

لم تقتصر حلقات دروس الأفغانى ومجالسه على طلبة العلم، بل كان يؤمها كثير من العلماء والموظفين والأعيان وغيرهم،وهو فى كل أحاديثه[٢٣]،كما يقول محمد عبده : «لا يسأم من الكلام فيما ينير العقل، أو يظهر العقيدة أو يذهب بالنفس إلى معانى الأمور، أو يستلفت الفكر إلى النظر فى الشئون العامة مما يمس مصلحة البلاد وسكانها، وكان طلبة العلم ينتقلون بما يكتبونه من تلك المعارف إلى بلادهم أيام البطالة، والزائرون يذهبون بما ينالون إلى أحيائهم، فاستيقظت مشاعر وتنبهت عقول، وخف حجاب الغفلة فى أطراف متعددة من البلاد، خصوصا فى القاهرة».

وكان للأفغانى مذهب فى الكلام يتفق ونزعته، وهو أن يحدث من يفهم ومن لايفهم، من يستعد ومن لايستعد، كالسحاب ينزل الغيث فتنتفع به الأرض الصالحة وتسوء به الأرض الفاسدة، ولاعيب على السحاب، يقول الشيخ محمد عبده فى هذا " كان السيد جمال الدين الأفغانى يلقى الحكمة لمريدها وغير مريدها، ومن خواصه أن يجذب مخاطبيه إلى مايريد، وإن لم يكن أهله ، وكنت أحسده على ذلك، لأننى تؤثر فى حالة المجلس والوقت، فلا تتوجه نفسى للكلام إلا إذا رأيت له محلا قابلا واستعدادا ظاهراً»[٢٤].

ماذا كان يريد السيد جمال الدين فى مصر؟

كان يريد فى درسه النظامى توسيع عقول الطلبة وتفتيح آفاق جديدة فى فهم العالم، وتعليم الحرية فى البحث، وإيجاد شخصيات من الطلبة تبحث وتنقد وتحكم، خالفت النص أو وافقته، خالفت المألوف أو وافقته[٧٥].

وكان يريد فى درسه العام أن يتحرر الشعب من العبودية للحكام، ويفهموا موقفهم من الحاكم، وموقف الحاكم منهم، كل يعرف حدوده ويؤدى واجبه، فإذا تعدى الحاكم هذه الحدود قال له الشعب : «لا» بملء فيه. يريد تكوين رأى عام واسع الثقافة قوى حازم، يفهم الأمور الداخلية والخارجية، ويكون لكل ما يعرض من الحوادث العظام رأيا يقنعه ثم يفرضه على أولى الأمر حتى لا يتلاعبوا به.

الصالونات الثقافية :

عمرت الساحة الثقافية فى مصر بما أصبح معروفًا بالصالونات الثقافية، والتى

كانت ساحة مطورة لما عرفه العرب قديما فى سوق عكاظ، والصالون الثقافى عادة كان فى أحد المنازل، يقوم صاحبه باستضافة عدد من الكتاب والمفكرين فى يوم محدد فيتحادثون فى موضوعات شتى ويحدث شئ مما يمكن أن نسميه بالتلاقح الفكرى، وتبادل المعلومات ووجهات النظر، والتبارى فى سوق الحجج والبراهين لدعم وجهات النظر، التى تطرح على بساط المناقشة.

وسوف نقصر الحديث على صالونين معينين بصفة خاصة، كانا لامرأتين، إحداهما من الأسرة الحاكمة، والثانية كانت أدبية لبنانية، واختيارنا لهذين الصالونين له مغزاه، فهما لامرأتين في مجتمع شرقي، الجمهرة الكبري من سكانه من المسلمين حيث كانت الظروف تقضى ألا يكون مركز التجمع امرأة، ولعل هذا مايشير إلى صورة من صور « التحديث» التى عرفها المجتمع المصرى فى الفترة التى نعنى بدراستها، خاصة بالنسبة لقطاع النساء تلك الفئة التى توصف في الدراسات الخاصة بتعليم الكبار بأنها فئة مهمشة. ولا يعنى هذا أن «التهميش» كان غير حادث بالنسبة للمرأة المصرية، ذلك أن صاحبتا الصالونين ليسا مثالا دالا على السلوك النسائى العام، فكل منهما لها ظروفها الخاصة التى أعانتها على أن تفعل ما فعلته، وهو الأمر الذى لم يكن متاحا للجمهرة الكبرى من المصريات.

.صالون الأميرة نازلى فاضل :

كانت إحدى الأميرات من الأسرة الخديوية، وقد اتخذت من منزلها صالونا يلتقى فيه عدد محدود من الزوار من أهل العلم والفن والأدب من مصريين وأجانب. ولقد تميزت هذه الأميرة بذكاء ودهاء وربيت على النمط الأوربى وتثقفت ثقافة غربية. وقد لعب هذا الصالون دوراً بارزا فى الحياة المصرية فى أواخر القرن التاسع عشر، حيث «كانت تحل فيه عظائم الأمور والمدنية، كما كان يشجع أصحاب المواهب الممتازة. وبمعنى آخر ساعد هذا الصالون على ترويج الأفكار الغربية بعد تطويعها من خلال المصريين الذين ترددوا على هذا الصالون وفقا لمتطلبات الحياة الشرقية الإسلامية والمصرية بصفة خاصة. كما أنه ساعد بعض المصريين المتنورين ممن اختلفوا إليه فى الحصول على مراكز فى الإدارة المصرية كان من بينهم سعد زغلول .

وكذلك كان من رواد الصالون : الشيخ محمد عبده، وقاسم أمين، واللورد كرومر عميد الاحتلال البريطانى[٢٦].

وقد ترك هذا الصالون وغيره أثرا بعيدا فى خلق مدرسة فكرية سياسية تزعمها محمد عبده وعقد عليها الإنجليز أملا كبيرا فى إحداث التغير المنشود فى مصر، دون أن يزعزعوا أركان الدين الإسلامي أو يتركوا الشعائر التى لا تخلو من أساس دينى، وقد أكد البعض أن أفكار قاسم أمين فى كتابيه (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) قد تبلورت فى هذا الصالون، وأن الإعداد لإنشاء الجامعة المصرية الأهلية قد تم فيه ولكن يبدو أن أصحاب هذه المدرسة لم يكونوا حزبا إصلاحيا بالمعني الدقيق لهذه الكلمة.

.صالون «مى زيادة»:

أديبة لبنانية، ولدت عام ١٨٨٥، ثم نزحت مع والدها إلياس زيادة الى القاهرة عام ١٩١١[٢٧]، وقد بدأ صالونها بعد وقت قصير من مجيئها إلى مصر قد لا يزيد على عامين، واستمر حتى نهاية الثلاثينيات، حيث كان موعده يوم الثلاثاء من كل أسبوع. وكان صالونها ملتقى الجمهرة الكبرى من مفكرى مصر، منهم على سبيل المثال: الشاعر أحمد شوقى ، والشاعر حافظ إبراهيم، وعباس محمود العقاد، وأحمد لطفى السيد، ومصطفى عبد الرازق، وعلى عبد الرازق، والشاعر إسماعيل صبرى، والشيخ محمد رشيد رضا، والشاعر خليل مطران، وغيرهم من الباشوات الكبار مثل عبد العزيز فهمى باشا أو الأدباء الأثرياء، أو من الأدباء المعدمين، بعضهم كان يحضر خصيصا من طنطا مثل مصطفى صادق الرافعى.

وقد كتب عباس العقاد : «وليس أدل على براعة مى فى إدارتها الحديث فى مجلس حضره نحو ثلاثين كاتبا وأديبا ووزيرا للتشاور فى الاحتفال بالعيد الخمسين للمقتطف (مجلة ثقافية شهيرة كانت تصدر فى مصر ما يزيد على نصف قرن). كان اجتماع هذا المجلس عندها إبان المنازعات السياسية التى وصلت بكثير من الكتاب والأدباء إلى حد التقاطع والعداء.. وكان منهم من حضر هذا المجلس وهم متشيعون إلى شتى الأحزاب، منتمون إلى مختلف الهيئات،، فقضينا عندها ساعتين نسينا فيها أن البلد فى اضطراب أو منازعات سياسية بفضل براعتها فى التوفيق بين الآراء والأمزجة وقدرتها على توجيه الحديث إلى أبعد الموضوعات عن الخلاف..»

كذلك كتب العقاد عن مى مشيرا إلى بعض صفات كان لها أثرها على صالونها الثقافى، من ذلك قوله أنها كانت «مثقفة، قوية الحجة، تناقش وتهتم بتحرير المرأة وإعطائها حقوقها السياسية، كما كان فيها بعض صفات الرجال، من حيث أنها جليسة علم وفن وأدب، وزميلة فى حياة الفكر».

ثالثا: الجمعيات الأهلية

عرفت مصر منذ أواخر السبعينيات من القرن التاسع عشر ظهور عدد من الجمعيات الأهلية التى كان الهدف منها أن يقوم نفر ممن كانوا يعيشون هموم الأمة بتكوين مثل هذه التجمعات من أجل التثقيف والتنوير العام، فضلا عن القيام بمهمة تقديم مدارس تفتح أبوابها لأبناء الفقراء وميسورى الحال والتركيز على الرؤية الوطنية والأسلوب الذى يقوم على النظر إلى التعلم باعتباره «وحدة» لابد لها من تكامل التنشئة والتكوين حتى تبث دماء الصحة والعافية فى عروق المجتمع.

الجمعيات الإسلامية:

- الجمعية الخيرية الإسلامية: وكان من أوائل البادئين على هذا الطريق «عبد الله النديم» بإنشاء أول جمعية فى الاسكندرية، وكان اجتماع التأسيس فى ١٨ أبريل عام ١٨٧٩، وفى هذا الاجتماع تقرر أن يطلق على الجمعية اسم تكرر لجمعية أخرى فيما بعد، ألا وهو: «الجمعية الخيرية الإسلامية»(٢٨).

وإذا نظرنا إلى وجه نشاط الجمعية عرفنا الهدف الحقيقى الذى سعى إليه النديم من وراء إنشائها رغم ما اتخذته من مظهر خيرى وتعليمى وأدبى أمام الحكومة، وكان له منها هدف قريب وهدف بعيد: أما الهدف البعيد فهو نشر التعليم بين أبناء الأمة، لينشأ جيل عدته العلم الصحيح والتربية الاجتماعية والوطنية الصالحة فينهض بالبلاد، ومن ثم فقد نادى بإنشاء المدارس على أن تكون ذات صبغة قومية يعنى فيها باللغة العربية وآدابها والأخلاق والتربية الوطنية والتاريخ المصرى والإسلامى والخطابة.

وأما الهدف القريب فهو دعوته الكبرى التى جاء من أجلها إلى الإسكندرية، وقد حددها النديم بأن الدعوة هى تنبيه «الرأى العام» وإيقاظ الأفكار الخامدة والاتجاه

إلى الحرية بوسيلة إنشاء الجمعيات والمحافل الخطابية بالقطر كله، وأراد النديم من هذه المحافل أن تكون «مصبوغة بدم الغيرة الوطنية، تمحو فتور الإنسانية..»[٢٩].

ولم يقصر النديم رسالة المدرسة التى أنشاها على الناحية التعليمية التقليدية، بل خرج بها إلى الحياة فكون من التلاميذ جماعات للخطابة، والتمثيل ، والفنون، والآداب، وصار يدرب التلاميذ على الخطابة ويقدمهم فى المحافل، فيتحدثون فى الاتحاد والتعاون وحقيقة الإنسان وحقوقه، وكتب لهم تمثيلية نقدية قاموا بأدائها أمام الأمراء والأعيان، منها : «الوطن طالع التوفيق»، وتمثيلية باسم «النعمان»، وكان مراده من ذلك فيما يؤكد أحد تلاميذه : تدريبهم وتمرينهم على أساليب الخطابة والجدل من جهة، وبث روح الغيرة والنخوة فى أفكارهم من جهة أخرى ليتمكنوا إذا بلغوا مبلغ الرجال من أداء مقاصدها بلا حياء ولا خجل، لأن الأمة كانت لا تزال فى أشد الحاجة إلى ذلك، بسبب ما قضى به ضغط الحكام السابقين على أذهانها من الجبن والخمول، حتى أن أعظم عظيم فى الدولة كان لا يقدر أن يحدث نفسه فى سرير نومه بشئ من الإصلاح خوفا من الطيف أن ينم عليه[٣٠]!!

وما أن استكملت «الجمعية الخيرية الأسلامية» مقومات النجاح حتى اجتمع النديم بفريق من الأقباط ودعاهم إلى تكوين جمعية منهم تنظر فى شئون الطائفة وتسير على نهج الجمعية الخيرة فى التعليم، والدعوة إلى التآلف والتعاون وتبادل الرأى، فاستجابوا لدعوته، وتكونت «الجمعية الخيرية القبطية»، التى سوف نتحدث عنها فيما بعد، على غرار الجمعية الخيرية الأسلامية، واتفقت معها فى الغاية والهدف.

ـ جمعية التعليم المصرية : وتوالى بعد ذلك إنشاء الجمعيات، فأنشئت سنة ١٨٨٥ «جمعية التعليم المصرية» التى أنشأت مدرسة رأى مؤسسوها جعلها ليلية حتى تيسر للمدرسين والشبان الذين لا تسمح لهم أوقاتهم النهارية بالحضور إلى المدرسة أن يحضورها، بعد موافقة الخديوى عليها، وخصص ديوان الأوقاف مكانا لها فى قبة الغورى الكائنة بشارع الغورى، وقد أسرع الشباب إلى الالتحاق بها وتعتبر هذه المدرسة أول مدرسة ليلة من نوعها.

وكانت مدة الدراسة سنتين، يدرس الدارس فى السنة الأولى المقررات التالية : القانون المدنى، الحساب، الجبر، الجغرافيا، والتاريخ، الأحوال الشخصية حسب المذهب الحنفى، قانون الجنايات،، الأخلاق. أما فى السنة الثانية فقد كان الطلاب يدرسون : القانون المدنى، الاقتصاد، الطبيعيات، الكيمياء، القانون التجارى، قانون المرافعات المدنية، القانون التجارى، قانون الصحة، الطب الشرعى، علم الهيئة(٣١).

ولعل الواضح من هذا البرنامج التعليمى أنه بالفعل كان للكبار، بالإضافة إلى عنايته الملحوظة بالدراسات القانونية، ويبدو أن مؤسسى المدرسة كانوا من المهتمين بهذا اللون من الدراسات. ولعل ما يؤكد على أنه برنامج «للكبار» أن نجد جريدة الأهرام تشير إلى أن يعقوب صروف وفارس نمر، صاحبا مجلة المقتطف، وكانا من كبار الكتاب، انتظما فى عقد الجمعية، وأن الطلبة الذين قدموا لها زادوا على أربعمائة، منهم ١٠٠ من طلبة الأزهر.

ـ العروة الوثقى : وفى عام ١٨٩٠، أى بعد الاحتلال بثمانى سنوات قرر بعض أدباء الإسكندرية أن يجتمعوا ليلا بمنازل بعضهم لمطالعة الجرائد والكتب الأوربية والمجلات العلمية، وأدى هذا إلى الرغبة فى تطوير هذا الاجتماع وأهدافه بأن يشتغلوا بتعليم بعضهم البعض، واستأجروا محلا مخصوصا لهذا الغرض وبدؤا فى إلقاء بعض الدروس المفيدة فكنت ترى أحدهم معلما يلقى الدروس على زملائه بقدر استطاعته، وبعد الانتهاء ينتظم فى حلقة الطلبة من زميله درسا فى علم آخر، ومكثوا مثابرين على هذا المنوال نحو ثلاث سنوات(٣٢)، إلى أن رغبوا فى تعميم الفائدة، فاتفقوا على إنشاء جمعية خيرية الهدف منها الأول نشر العلوم والمعارف وعمل البر لأولاد الفقراء، وسنوا لهذا المشروع قانونا فى شهر رمضان ١٣١٠هـ، كان مما جاء فيه(٣٣):

ـ تأسست بالإسكندرية جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية.

ـ الغرض من هذه الجمعية القيام بالأعمال الخيرية ونشر العلوم والمعارف والصنائع وتعليم الفقراء مجانا والإعانة على تربيتهم.

ـ ولا يجوز للجمعية التكلم فى الموضوعات السياسية ولا العقائد الدينية.

وافتتحوا المدرسة الأولى فى كوم الشقافة فى شهر محرم سنة ١٢١٠هـ، وألحقوا بها أولادهم وأولاد من يلوذ بهم.

ولما لقى هذا المشروع إقبالا ورواجا انتقلوا لبيت أوسع من الأول، ولم تمض سنة من ذلك التاريخ حتى أنشأوا مدرسة للبنات، ثم أخرى بجهة بحرى، ولكن أعضاءها إذ ذاك، وكانوا من صغار الموظفين الذين لا يتجاوز مرتب أحدهم عن الخمسة جنيهات، لم يجد مساعدا لهم على بلوغهم مأربهم، فألغوا مدرسة بحرى. وبعد مضى السنة الثانية من تاريخ نشأة الجمعية بدأ الدور المهم فى حياتهم، إذ تنبه القوم إلى الغرض الذى يرمى إليه المشروع، وأقبل بعض الأغنياء على الانضمام إليها، ولم تمض سنة حتى أصبح فيها نحو الخمسين عضوا وعدد عظيم من الأعضاء المساعدين، وبذلك تيسر لهم إنشاء مدرسة فى الباب الجديد فى شهر سبتمبر عام ١٨٩٨، وكانت مجانية ، لتعليم القرآن ومبادئ القراءة والكتابة، بجانب مسجد أبى العباس، ثم اشتروا مدرسة كان يملكها أجنبى اسمه مسيو فالو بجهة بحرى فى سبتمبر ١٨٩٩، ثم أسسو مدرسة للبنات بالباب الجديد(٣٤).

ولا نستطيع أن نقول أن كل الجهود التعليمية كانت مما يدخل فى مجال تعليم الكبار، فالكثرة الغالبة من المدارس التى أنشأتها كانت لتلاميذ صغار، لكن الميزة الأساسية أنها جميعا كانت لأبناء الفقراء ومجانية فى الغالب والأعم، وإذا ظهرت مصروفات فهى قليلة لا تعجز الكثيرين. ومع ذلك فلابد من تسجيل اهتمام الجمعية بإنشاء مدرسة لتعليم الصنائع والفنون، ومدرسة لتعليم زراعة الخضر والفواكه وإنشاء البساتين. ويرجع الهدف الأساسى من إنشاء هذه المدرسة الأخيرة بالذات فى منطقة الحضرة بالاسكندرية، أن أهالى هذه المنطقة كان معظمهم من الفقراء، ويكثر فيهم المحترفون بحرفة «الغيطانية» ـ نسبة إلى الغيط / الحقل ـ والبستانية، وكانت زراعة الخضره والبقول والفواكه والأزهار متدنية، لذلك رأت الجمعية أن أحسن ما يمكن تحقيقه هو تحسين حال أبناء هذه الجهة، وذلك بتعليمهم التعليم الذى يجعل منهم بستانيين حاذقين مهرة فى رسم الجنائن والمنتزهات وزراعا خبيرين فى أصناف الخضر والفاكهة، وتعليمهم طريقة استثمار هذه المحصولات والتعامل معها (٣٥).

وقد أدخلت الجمعية فى «مدرسة بنات الشيالين» التى أنشئت خصيصا لهن صناعة الجوارب بواسطة ماكينات لمعاونتهن فى أمر معاشهن، وقد أتقن هذه الصناعة حتى نبغ فيها عدد ليس بالقليل.

ـ الجمعية الخيرية المصرية الإسلامية : وفى أول سبتمبر سنة ١٨٩٢ اجتمع بدار

محافظة القاهرة عدد كبير من كبار الموظفين ورجال المجتمع برئاسة إبراهيم رشدى باشا المحافظ للبحث فى تأليف لجنة «إعانة فقراء المسلمين»، تحبي ليلة خيرية فى مسرح حديقة الإزبكية يعرض فيها «حاوى» أجنبى اسمه «كازانوف» بعض ألعابه على أن يخصص دخلها لإعانة فقراء المسلمين الوطنيين، ثم رأي المجتمعون بعد ذلك ألا يقتصر الأمر علي تلك الليلة بمسرح الإزبكية، بل تقام الزينة بالحديقة وتنظم بها حفلات وغناء وموسيقى وألعاب نارية بهلوانية ليزداد بذلك دخل الحفلة، واقترحوا ألا تكون هيئتهم مؤقتة بل دائمة (٣٦). وفى ٢٤ سبتمبر اجتمعت الجمعية العمومة وعرضت عليها أعمال اللجنة الإدارية، وعرض عليها مشروع قانون يجعلها دائمة باسم «جمعية خيرية مصرية إسلامية» ، فوافقت على الفكرة وألفت لجنة لبحث مشروع القانون وتمحيصه، وكان من أعضائها سعد زغلول، والشيخ محمد عبده، وقاسم أمين، وحسن عاصم.

وكان من الضرروري ألا تكون مدارس هذه الجمعيات نسخة مكررة من المدارس الرسمية التى صيغت بطريقة معينة على الإعداد للوظيفة الحكومية، ومن هنا نجد الشيخ محمد عبده يقف فى الاحتفال بامتحان مدارس الجمعية ليشرح أهداف مدارس الجمعية الخيرية الأسلامية بأنها ليست الإعداد للوظائف الحكومية وإنما مساعدة التلاميذ على أن يعملوا عمل آبائهم بإتقان فولد النجار يكون نجارا وولد الحداد يكون حدادا.. والتربية والتعليم يساعدان كل على إتقان عمله وصناعته فيكون أكثر كسبا لأنه أكثر إتقانا للعمل، مع الأمانة والاستقامة»(٣٧).

ويذكر محمد عبده كذلك أن مدارس الجمعية تعلم تلاميذها ما لابد منه لكل إنسان، وهو أن يتقن القراءة والكتابة بلغة أمته ويعرف ما يجب عليه من أحكام دينه، ويتربى عيله عملا، والحساب التاريخ وتقويم البلدان، وطرفا من التاريخ الطبيعى، لحفظ الصحة وأدب المعاشرة.

ـ جمعية الشبان المسلمين : وقد أعلن عن قيامها فى الخامس والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٩٢٧(٣٨)، بأن اجتمع نفر من شباب المسلمين ، بلغ عددهم نحو المائة، وحضر الاجتماع عدد من قادة المسلمين، وانتخب الشيخ محمد الخضر حسين، الذى تولى بعد ذلك مشيخة الأهر فى عهد ثورة يوليو ١٩٥٢، وكان ظهور هذه الجمعية فى الغالب على غرار ما عرف فى الخارج باسم جمعية الشبان المسيحيين.

وتبلورت أهداف الجمعية، بعد مشاورات واقتراحات ومداولات شتى فى ستة أهداف ظلت هى المنشودة لدى الجمعية منذ إنشائها حتى الآن وهى كما ورد فى ميثاق الجمعية كما يلى(٣٩):

١ـ بث الآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة.

٢ـ السعى لإنارة الأفكار بالمعارف على طريقة تتناسب وروح العصر.

٣ـ العمل لإزالة الاختلاف أو الجفاء بين الطوائف والفرق الإسلامية.

٤ـ الأخذ عن حضارتى الشرق والغرب بمحاسنهما جميعا، وترك ما فيهما من مساوئ.

٥ - تعمل الجمعية على توثيق الصلات والروابط بين الشعوب الإسلامية وعلى الدفاع عن حقوقها ومصالحها كلما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

٦ ـ لا تتعرض هذه الجمعية للمنازعات السياسية بأى حال.

وقد استطاعت الجمعية أن تنشئ فى مختف أقاليم مصر فروعا لها بلغت العشرات، ظلت فى مأمن من أن تعصف بها العواصف السياسية لأنها بالغعل بعدت عن أرض السياسية الملغومة، بل وطغى على أنشطتها كل من النشاط الاجتماعى والنشاط الرياضى، فضلا عن التثقيف بمنحى يبعدها عن الخلافات المذهبية، وكان لها كذلك دور ملحوظ فى النشاط الكشفى.

وفى سبيل تحقيق أهدافها أصدرت بعض الكتيبات الدينية المبسطة سعيا نحو تدعيم القيم الروحية والخلقية فى نفوس الشبان، مثل «كيف نعلم القرآن الكريم لأبناء المسلمين؟» للدكتور يحيى الدرديرى، وأصدرت مجلة شهرية للترويج للثقافة، وإقامة الندوات. ومن الأنشطة المهمة التى قامت بها، توثيق عرى الألفة والمحبة بين شباب الشعوب العربية والإسلامية عن طريق رعاية المبعوثين إلى مصر من هذه الشعوب (٤١).

وعلى هذا فيمكن القول أن الجهد الأكبر لهذه الجمعية تركز فى تعليم الكبار من منظور دينى إسلامي، خاصة وقد مرت بمصر بعض الفترات التى تسربت فيها أفكار

إلحادية إلى بعض شبابنا، فكان جهد الجمعية منصبا فى تزويد الشباب بثقافة دينية صحيحة، مصاغة بصياغة لا تخاصم العصر واحتياجات الشباب ،وقد عبر عن ذلك الشاعر أحمد محرم فى قصيدة له ألقاها بمناسبة احتفال بالمولد النبوى الشريف عام ١٣٥٦هـ الموافق عام ١٩٣٧، قال فيها(٤٢):

ذهب العصر الذى شيبنا ... وأتى عصر الشباب الملحدين
عيرونا أن عبدنا ربنا ... وحفظنا عهده فى الحافظين
وأعدوها لنا «رجعية» ... جعلوها سبة للمؤمنين
نسخ الأخلاق فى شرعتهم ... أنها ترهات «الجامدين»
إن تقل «دين» يقولوا «فتنة» ... هاجها فى مصر بعض المفسدين
فسد الأمر فهل من مصلح ... أصلحوه ياشباب المسلمين؟

ـ جمعيات أخرى : من هذه الجمعيات جمعية المساعى المشكورة، لكن المدارس التى أنشأتها سارت وفق النظام والمناهج المطبقة فى المدارس النظامية، مع بذل اهتمام أكبر باللغة العربية والدين الأسلامى. لكن بالنسبة لتعليم البنات فإن الأمر اختلف، فلقد رأى القائمون عليه ضرورة الاقتصار على ما يناسب البنات الشرقيات، ومن هنا فقد تركز على ما يهم أرباب البيوت من تعلم القراءة والكتابة وأحكام الدين الضرورية، وتدبير المنزل والأخلاق ، والأشغال اليدوية، وعلم الجغرافيا، والحساب، والأشياء، وفن الرسم(٤٢).

وهناك «جمعية شمس مكارم الأخلاق» التى أنشئت بالزقازيق عام ١٩٠٠،حيث رتبت عددا من المعلمين فى ثلاث مساجد، يعلمون الناس الأخلاق والآداب والدينية، كما أنشأت ناديا علميا لمطالعة الكتب.

ونجد فى أحد أعداد جريدة اللواء خبرا عن «جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية» بالإسكندرية، فقد أنشأت هذه الجمعية ملجأ للأيتام من المسلمين يتربون فيه بالمجان ويتعلمون فيه العلوم الابتدائية والفنون النافعة، مع العمل على استثمار رأس مال لكل تلميذ يصرف عليه عند خروجه من الملجأ بعد إتمام تربيته وتعليمه.

ومن هنا فإننا نجد أن منهج التعليم كان يشمل، بالإضافة إلى المقررات النظرية

المعروفة فى المدارس الرسمية، بعض المهارات المهنية فى : التجارة ـ الحدادة – الحياكة ـ السكافة ـ السمكرة ـ التجليد ـ الطباعة ـ الزراعة (٤٤).

وفى إبان الثورة الشعبية عام ١٩١٩ ووفقا لما رواه «القباني» للدكتور أحمد حسن عبيد فى مقالة له بمنزله الأول مساء سوم ٢٦ / ١٢/ ١٩٦١(٤٥)، جلس الأستاذ إسماعيل القبانى،حيث كان مدرسا للرياضيات أسيوط الثانوية، وأصبح بعد ذلك رائد التربية الحديثة فى الوطن العربى، والأستاذ عبد الرزاق أحمد السنهورى، القطب القانونى الكبير بعد ذلك فى النادى الأهلى بأسيوط يتناقشان فى حالة مصر. وقد اقترح السنهورى تنظيم صفوف لتعليم الشعب وتخليصه من الأمية، وكان محمود فهمى النقراشى ـ رئيس الوزراء بعد ذلك – مدير التعليم بمجلس مديرية أسيوط فشجع الفكرة، وأرشد إلى اثنين من المعلمين للاستعانة بهما فى ابتداء مشروع تعليم القراءة والكتابة والحساب والدين والمعلومات العامة التى يدخل فيها التثقيف الوطنى. أما التمويل فكان مصدره بعض التبرعات البسيطة، ودخل الحفلات التمثيلية التى كان يتطوع فيها بعض تلاميذ المرحلة الثانوية بعض الهواة الآخرين، وكان الإشراف علىى هذه المدرسة للقبانى والسنهورى وكان يعاونهما «محمد عبد الحافظ» مدير قسم الترجمة، لكن بصفته سكرتيرا لجمعية التعاون الإسلامي، وبعد فترة نقل السنهورى إلى مدرسة القضاء الشرعى بالقاهرة واستمر القبانى فى الإشراف حتى نقل أيضا فى عام ١٩٢٤، وترك الإشراف لمحمد عبد الحافظ، واستمرت المدرسة بعد ذلك عدة سنوات حتى أخذت المدارس الليلية التي أنشأتها وزارة المعارف ومجالس المديريات فى الانتشار فى الأقاليم.

الجمعيات القبطية:

ـ الجمعية الخيرية القبطية : ولم يكن ظهور جمعيات قبطية مظهر انفصالية وتقوقع، وإنما هومظهر من مظاهر الحرص على بذل جهد فى سبيل رعاية شئون فريق كبيرمن أبناء مصر، بدليل ما أشرنا إليه من حث عبد النديم على ذلك، وبدليل أن أول جمعية خيرية قبطية تم إنشاؤها فى الثامن من يناير عام ١٨٨١(٤٦)، وكان صاحب الفضل الأكبر فى ذلك هو بطرس غالى الذى تولى رئاسة الوزارة بعد ذلك، وحضر الاجتماع التأسيسى الشيخ محمد عبده، وعبدالله النديم، وأديب إسحاق،

وناقش الحاضرون عجز الصندوق بدار البطريركية عن تلبية حاجات الفقراء الأقباط ووجوب أن تقوم جمعية خيرية بهذا الدور، وقد تحدد الهدف من هذه الجمعية فى : «القيام بالأعمال الخيرية كافة، مثل إعانة فقراء الأقباط المعدمين والمعسرين وتعليم بناتهم وأولادهم ودفن موتاهم، ومساعدة من يتزوجون من بناتهم، ولتتولى معالجة المرضى الفقراء من جميع الملل مجانا».

فلم يكن الهدف إذا محصورا فى التعليم ، وإنما هو هدف اجتماعى شامل ، ويجئ التعليم ركنا أساسيا فى عمل الجمعية.

واذا كانت مدارس الجمعية مثل غيرها من الجمعيات غلب عليها طابع الاقتداء بالمدارس الرسمية النظامية إلى حد كبير، إلا أننا نجد توجها إلى صورة من صور تعليم الكبار بالنسبة لخريجات مدرسة أنشأتها الجمعية للبنات سمتها على اسم بطرس غالي وهى المدرسة البطرسية، فقد قررت الجمعية توجيه خريجات المدرسة إلى إكمال تعليمهن فيما سمى ب «المشغل البطرسى» للأشغال والكسب، خاصة وأن البنات اللاتى كن يلتحقن بالمدرسة كن من الفقيرات ، وكان إنشاء هذه المدرسة عام ١٩١٣ . وكان الغرض من المشغل هو «تعليم البنات الفقيرات صناعة التفصيل والخياطة والتطريز حتى يربحن ويتكسبن ولا يكن عالة على الهيئة الاجتماعية»(٤٧).

كذلك أنشأت الجمعية عام ١٩١٤ مدرسة التدبير المنزلى للبنات، كان بها قسم للغسيل وآخر للكى وثالث للطبخ، وهذا أيضا خدمة للفقيرات.

ـ جمعية التوفيق القبطية : وجاءت جمعية التوفيق القبطية فى أغسطس عام ١٨٩١ تتويجا للجهود المبذولة لطائفة من الجناح المثقف من شباب الأقباط الذين شهدوا أمام أعينهم تعثر المحاولات العديدة للإصلاح الاجتماعى، وهى المحاولات التى قادها أصحاب الجناح المعتدل فى حركة الإصلاح منذ عام ١٨٧٤(٤٨).

وعلى العكس من الجمعية الخيرية القبطية، لم يكن الطريق سهلا أو ميسورا أمام جمعية التوفيق، فالجمعية الأولى قامت فى أحضان البطريركية وبمباركتها، على حين بدأت جمعية التوفق بداية متواضعة للغاية فى شكل نفر قليل التقوا فى شكل ندوة جمعت بينهم يوم ٢٤ أغسطس عام ١٨٩١(٤٩).

ويشير الكتاب الماسي للجمعية إلى جملة ظروف سيئة من الناحيتين الثقافية والدينية حتمت ظهور الجمعية، فلم تكن حالة الكهنة سيئة من الناحية الاجتماعية والمالية فقط، بل كانت كذلك من الناحيتين الثقافية والروحية، إذ لم تكن هناك مدرسة خاصة لتعليمهم العلوم الدينية، أو لتبين لهم واجبهم إزاء الأقباط من حسن الرعاية والتوجيه، بل كان المطران غالبا ما يلجأ إلى من سدت فى وجهه أبواب الحرف الأخرى ليعهد به إلى عريف القرية يعلمه الألحان والقداس شهراً أو بضعة أشهر ليقيمه كاهنا. ومن الطبيعى أن يدرك الكاهن الجديد أن وظيفته هى رعاية أبناء كنيسته رعاية روحية ، بل جهل أغلبهم القراءة الكتابة(٥٠).

وما تعلمه من أجزاء القداس تعلمه دون وعى أو فهم أو إدراك لقيمته. واذا كان هؤلاء هم رعاة الأقباط وقادتهم، فيمكننا أن تتصور صورة تقرب من الحقيقة حال الأقباط، لا سيما من عاش منهم فى الريف بعيدا عن موارد الثقافة أو المعرفة ليعمل فى الزراعة أو التجارة ، ويباشرها على الطريقة التقليدية التى لا ترمى إلا إلى سد الكفاية.

من هنا فقد رأت الجمعية أن إنشاء المدرسة اللاهوتية من أهم الحاجات للأقباط، وهذه المدرسة كانت معنية بتخريج رعاة روحيين دارسين للعلوم الدينية وغيرها ، مثل اللغة العربية وأصولها، اللغة القبطية، واللغة اليونانية، واللغة الحبشية لمن أراد، والمنطق، وتاريخ الكنيسة العام، وتاريخ الكنيسة القبطية الخاص، وأصول الدين والتفسير والشريعة القبطية فيما يختص بالأحوال الشخصية.

وقد تحددت أهداف الجمعية فيما يلى (٥١)

أولا ـ الدعوة إلى إصلاح الشئون الطائفية وفى مقدمتها الاحتفاظ بكيان المجلس الملى كممثل للشعب ومساندته فى اختصاصه.

ثانيا ـ النهوض بالتعليم بإنشاء مدارس نظامية مع تشجيع تعليم البنات وتعليم الصناعات.

ثالثا ـ المساهمة فى أعمال البر بمساعدة الأسر التي أخنى عليها الدهر .

رابعا ـ المساهمة فى تثقيف الشعب وتشجيعه فى التمسك بالتقاليد والعادات الطيبة ونبذ ما دونها هادفا لرفع المستوى الاجتماعى.

ومن الواضح أن الهدف الذى يتعلق بموضوعنا ليس هو الثانى لأنه ينص صراحة على التعليم النظامى، أما الرابع فهو الذى يمكن أن يدخل تحت مظلة تعليم الكبار، ويؤكد لنا هذا أن الجمعية، فى سبيل تحقيق الهدف الرابع، كانت تعقد بمقرها اجتماعات وندوات نصف شهرية يحاضر فيها بعض الأعضاء لإيضاح السبيل إلى الإصلاح والتقدم، وكيفية تمسك الأقباط بالمحاسن ونبذ العيوب والمساوئ.

كما أنشات الجمعية سنة ١٨٩٤ مكتبة تضم عددا كبيرا من الكتب القيمة منها ما يبحث فى تاريخ الكنيسة والأقباط، ومنها ما يبحث فى الأدب والعلوم وغير ذلك.

ثم فكرت الجمعية فى اقتناء مطبعة، وعندما أعلنت عن ذلك تدفقت عليها التبرعات تعضيدا لهذا المشروع، فتم إنجازه سريعا.

وقد والت الجمعية أيضا إصدار نشرات تثقيفية، ثم تطورت هذه النشرات إلى مجلة(٥٢).

الجمعيات اليهودية:

لم يكن عدد اليهود فى مصر فى فترة الدراسة كبيرا، فوفقا لتعداد عام ١٩٤٧ كان عددهم نحو ٥٧٨٨٩١ نسمة(٥٣)، ومع ذلك فقد كان نشاطهم الاقتصادى والتعليمى بارزا، ونفوذهم واضحا، بفعل عوامل متعددة ليس هنا مكان التفصيل فيها، وكان الدور الهام الذى وقف وراء كثير من الجهود التربوية «الأليانس» (التحالف) الإسرائيلى الدولى، وهو تنظيم يهودى تأسس فى باريس عام ١٨٦٠ بهدف الدفاع عن الحريات المدنية والدينية لليهود، وتنمية المجتمعات اليهودية المختلفة عن طريق التعليم والتدريب المهنى وإغاثة اليهود فى الأزمات ، وقد دخل هذا التحالف اليهودى مجال التعليم فى مصر عام ١٨٩٦(٥٤)

وكان القائمون على أمر الاتحاد يرون أن يهود مصر ليسوا فى حاجة إلى مجهوداتها التعليمية، إلا أنه ظهرت عوامل دفعت يهود مصر وجمعية الاتحاد الإسرائيلى الى القيام بجهود كبيرة لتعليم الطائفة اليهودية، ومن هذه العوامل(٥٥):

- أن إرسال أبناء الطبقتين المتوسطة والعليا إلى المدارس الأجنبية قد ترتب عليه أن هؤلاء الأبناء يقتبسون العوائد الغربية، هذا بالإضافة إلى أنهم لم يكونوا يتلقون دروسا كافية فى اللغة والثقافة العبرية وبالتالى أهملوا أمور دينهم.

- زيادة نشاط الإرساليات التبشيرية، إذ أن الحكومة المصرية لم تستطع وقف نشاط الإرساليات عند حد معين بسبب تغلغل النفوذ الأجنبى فى البلاد، وبالرغم من وقوف كل من الأقباط والمسلمين واليهود المصريين فى وجه هذه الإرساليات التبشرية إلا أنها استطاعت أن تنفذ إلى صفوف اليهود ويصبح لها من الأثر الكبير ما دفع بأثرياء اليهود إلى التنبه إلى خطورة نشاط هذه الإرساليات فى المجال التعليمى

ومن الجدير بالملاحظة أن الطائفة اليهودية كانت ترمى إلى أن يكون تعليم أبنائها تحت إشرافها حتى توجههم الوجهة التى تريدها، وحتى يشبوا وولاءهم الأول لدينهم وطائفتهم، وفى هذا المجال عنيت بالتعليم الدينى وبث المفاهيم الدينية، كما اهتمت بالتعليم المهنى فأنشأت المدارس الصناعية.

ولابد من الإشارة إلى أنه فى عام ١٩١٧ استطاع ليون كاسترو أن يؤسس أول فرع للمنظمة الصهيونية العالمية فى مصر تحت اسم «منظمة الصهيونيين بمصر»(٥٦).

واتجه تعليم الكبار، والصغار اليهود إلى دراسة التوراة وتعليمها، لأن اليهود - فيما تؤكد صحيفة (إسرائيل) التى كانت تصدر فى مصر منذ عام ١٩٢٠ - يحتاجون فى جهادهم الحاضر إلى قوة روحية وشجاعة قلبية وإقدام فى النفس لن يتحقق إلا بالعودة إلى الدين اليهودى، ففى التوراة قصص بطولة وشجاعة كقصة أولاد ماتاتيا الذين كانوا هم وأبوهم مثالا حيا للبطولة والإقدام ، والتى توحى إلى النفس بأبلغ مثال لحب الرب والدفاع عن شعب إسرائيل، وفى التوراة أيضا المثل الذى آمن به هرتزل (مؤسس الحركة الصهيونية) وكافح من أجله: لئن نسيتك ياأورشليم أنسى يمينى »(٥٧).

ومنذ بدأ اليهود المصريون يهتمون بفلسطين وفكرة الوطن القومى، أخذوا يوجهون جهودهم فى تعليم الكبار إلى إحياء الثقافة العبرية، ولذلك نجد أنه فى

الفترة ما بين ١٩٢٥و١٩٣٥ أنشئت فى مصر عدة مؤسسات هدفها خلق ثقافة عبرية، منها على سبيل المثال النادى العبرى، وجمعية أصدقاء الجامعة العبرية. وفى فلسطين تأسست جمعية «بريت عبريت عولاميت»، وكان هدفها الرئيسى هو بث الدعوة للتجديد والبعث الديني والثقافى والشرق الأوسط(٥٨).

وفى مصر قام فرع هذه الجمعية بإنشاء فصول لتعليم اللغة العبرية، وأسهم فى إنشاء الأندية الأدبية والرياضية وزودها بالكتب التى تحتاج إليها، كما قام بتنظيم دروس فى اللغة العبرية داخل هذه الأندية باعتبارها أنسب مكان يسهل فيه تجميع الشباب اليهودى. وعلى سبيل المثال فقد قام نادى الاتحاد للإسرائيلين القرائيين، إلى جانب تشجيعه للنشاط الرياضى بتنظيم المحاضرات وإقامة فصول تعليم الغة العبرية، كما أنشأ مكتبة زودها بمختلف الكتب الحديثة من عربية وإفرنجية وعبرية، وقد أسهم فى دعم هذه المكتبة الأمير عمر طوسون، والأمير يوسف كمال. وكانت هذه الأندية تستضيف الشخصيات الصهيونية التى تمر بالبلاد لإلقاء المحاضرات على أعضائها تلك المحاضرات التى كانت تهدف إلى خلق شعور قومى يهودى فى الشباب.

وفى الثالث من يوليو ١٩٣٥ أعلن عن تأسيس «جمعية الشبان اليهود المصريين» بحى الموسكى بالقاهرة(٥٩)، وقد خلع المشرفون على هذه الجمعية ثوبا وطنيا براقا فقد أعلنوا أن شعارها هو «الوطن والدين والثقافة»، وأن مبدأها هو خدمة مصر والفناء فى الإخلاص لمليكها ورفع شأن اليهود فى البلاد أدبيا وأخلاقيا وأجتماعيا، وتعويد الشباب على الأخلاق القومية وتعليمها اللغة العربية وجعلها لغة الكلام فى البيوت والهيئات والاجتماعات، والتقريب بين عناصر الأمة على اختلاف أديانها وأجناسها، لكن استقراء الواقع أوضح أن الهدف الخفى هو الترويج للفكر الصيهيونى.

وقد قامت فى القاهرة مراكز للتدريب المهنى ساهم فى تأسيسها كبار الأثرياء اليهود فى القاهرة والإسكندرية، وفى بعض عواصم الأقاليم، وذلك لتدريب العمال اليهود على الحرف الدقيقة، وخلق المهارات الفنية(٦٠). ومن أهم مراكز التدريب هذا المركز الذى أوصى «سالمون شيكوريل» فى وصيته المؤرخة فى ٨ أغسطس عام ١٩١٩ بإنشائه، ورصد له مبلغ ألفى جنيه. ولقد نفذت زوجته ما جاء فى الوصية،

وقامت بإنشاء مركز للتدريب المهنى يتبع محفل القاهرة،،وبلغ عدد المترددين عليه فى عام ١٩٣٨ أكثر من ٦٥٠ يهوديا، وكانوا يتدربون على الكثير من الحرف مثل الخياطة، وصناعة الأحذية، وميكانيكا السيارات، الكهرباء، والحفر، وإصلاح الساعات، والرسم، والنحت، وغيره. ولقد كان هؤلاء المتدربين يتلقون أثناء تدريبهم مكافأة شهرية، كما كانت ترصد لهم بعض المبالغ يتسلمونها عند إتمام تدريبهم لتعاونهم على بدء حياتهم العلمية.

ومن الجمعيات الشهيرة اليهودية فى مصر «شباب حب التوراة»(٦١). وقد نشرت مجلة الكليم فى أواسط الأربعينات معلومات عن الجمعية أكدت فيها أن الجمعية قدمت للطائفة ما لم تقدمه من قبل، وأن كل عضو فيها عمل فوق طاقته لرفع شأن الطائفة، وأن الجمعية افتتحت خمسة عشر فصلا لتعليم اللغة العبرية فى العباسية والحى الإسرائيلى، وأن عدد الطلاب فى معاهد الجمعية يزيد عن ثلاثمائة طالب وطالبة، وكانت الجمعية تقوم أيضا بطبع كتب تعليم العبرية طبعة جديدة. وذكر أحد المدرسين من الطائفة بمعهد العباسية عن جمعية حب التوراة أنها تقدم للطائفة جيلا تربيهم من الصغر تربية صالحة تفيدهم فى دنياهم ودينهم، وما إلى ذلك من الشئون الدينية البحتة. ومن الملاحظ أن الجمعية جمعت فى مدارسها أبناء الحى وأبناء العباسية وباقى أبناء مصر الجديدة، ومن الملفت للنظر أن ينبه هذا المعلم اليهودى: «... ولكن على الجمعية أن تفتح بابا لمن هو فوق سن ١٥ عاما من الشباب المتحمس نحو طائفته». وبالفعل أنشأت قسما خاصا لتعليم الشبان اللغة العبرية بحى العباسية . ومدت الجمعية نشاطها إلى الإسكندرية فأنشأت قسمين للتعليم العبرى بحى الحرنفش أحدهما للشبان والآخر للفتيات.

وتوضح مجلة الكليم سياسة المجلس الملى اليهودى الذى انعقد فى السابع من نوفمبر عام١٩٤٤ للطائفة القرائية بالنسبة للتعليم أن أغراضه تنحصر فى محو الأمية ومحاربة البطالة ونشر التعليم والثقافة والدين وإعداد ورش للصناعات المختلفة، والعمل على إعداد عدد كبير من ذوى الموهلات ، ولتحقيق هذه الأغراض، وضع برنامج لتحقيق ذلك ينحصر فى :

ـ إنشاء مدرسة ثانوية فى حى العباسية للقرائين.

- تشجيع أبناء الطائفة للالتحاق بمدارسها بالمساعدات الأدبية والمادية.
- مساعدة المجتهدين غير القادرين على الاستمرار فى التعليم على الالتحاق بالجامعة.
- إنشاء فصول ليلية لمحو الأمية وتعليم مبادئ القراءة والكتابة.
- تشجيع المحاضرات الدينية والثقافية وغيرها كالمجلة.
- تفسير التوراة بواسطة الوعظ والمحاضرات.

وتشير قراءة الإحصاءات الخاصة بالوضع التعلمى لليهود فى مصر وفق تعداد ١٩٤٧ إلى أنهم كانوا يقبلون على تعليم أبنائهم القراءة والكتابة على الأقل، ولم يقبلوا بنفس النسبة على حمل الشهادات الدراسية، ويتضح هذا من الآتى : فاذا كانت جملة اليهود فى مصر (لا يدخل فيهم الأطفال دون الخامسة) حسب هذا التعداد ٥٨٨٩١، فقد كان منهم ٤٠١٥٣ يعرفون القراءة والكتابة فقط، أى بنسبة ١٨,٦٨٪ من يهود مصر، و٢٨٩٩ فى التعليم أقل من المتوسط، أى بنسبة ٩٢,٤٪، أما التعليم المتوسط فعددهم ٢٢٩١ أى بنسبة ٨٩,٣٪ من يهود، والتعليم العالى عددهم ٩٠٧، أى بنسبة ٥٤,١٪ (٦٢).

رابعا: جهود رسمية وشبه رسمية

جمعيات ومؤسسات:

قام عدد من التنظيمات العلمية والثقافية التى استهدفت نشر المعرفة بين أكبر عدد ممكن من الناس، وإن كنا نعترف بأنها فى غالب الأحوال كانت تفيد المتعلمين، دون الأميين ، ومثال ذلك : جمعية المعارف التى تأست عام ١٨٦٨ لنشر الثقافة بواسطة التأليف والطباعة والنشر، أسسها محمد عارف (باشا)، أحد أفاضل العلماء فى ذلك الوقت، وكان الغرض منها نشر العلوم والمعارف بطبع الكتب العلمية وتأليفها وتهذيبها وتلخيصها، وجعلت تحت رعاية الأمير محمد توفيق الذى كان وليا للعهد، وتألفت برأس مال موزع على أسهم طرحت للاكتتاب العام، واقتنت مطبعة لطبع الكتب التى تولت نشرها. وتولت الجمعية طبع طائفة من أمهات الكتب فى التاريخ والفقه والأدب، مثل (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) لابن الأثير فى خمسة

مجلدات، و(تاج العروس من شرح جواهر القاموس) للزبيدى، والبيان والتبيين للجاحظ، ورسائل بديع الزمان الهمزانى،وغيرها. ويشير الرافعى إلى أن الجمعية لقيت إقبالا كبيرا إلى الدرجة التى وصل عندها عدد أعضائها إلى ما قد يزيد على ٦٦٠ عضوا، لكن الجمعية عصفت بها أعاصير السياسة قبل انتهاء عصر إسماعيل(٦٣).

ـ ولا شك أن إنشاء دار الكتب عام ١٨٧٠ كان ذروة الجهود المبذولة فى نشر الثقافة والعلوم المختلفة، ويعد على مبارك هو صاحب الفضل الأول فى هذا ، إذا يستفاد مما كتبه ذلك، قال : «ثم ظهر لى أن أجعل كتبخانة خديوية داخل الديار المصرية، أضاهى بها كتباخنة باريس ، فاستاذنت الخديوى إسماعيل باشا فى ذلك، فأذن لى، فشرعت فى بناء الكتبخانة هناك أيضا بدرب الجماميز، وبعد فراغها جمعت ماتشتت من الكتب التى كانت بجهات الأوقاف، زايدة على ما صار مشتراه من الكتب العربية والفرنجية... وعملت لها قانونا لضبطها وعدم ضياع كتبها... وحصل بها النفع العام للخاص والعام»(٦٤).

ـ كذلك فإن على مبارك رتب دروسا عامة أو محاضرات دورية بأنفياتر (المدرج) بسراى درب الجماميز سنة ١٨٧١ فعهد إلى عدد من أساتذة المدارس إلقاء هذه المحاضرات لتثقيف أذهان الطلبة، وكان يشجع هده الحركة فيحضر المحاضرات بنفسه، وسار على دربه كبار الموظفين فى العديد من الوزارات، وبصفة خاصة وزارة المعارف وكان يحضرها أيضا عدا طلبة المدارس العالية، فريق من طلاب الأزهر، والذين كانوا نواة بعد ذلك لإنشاء دار العلوم. وقد تعددت الموضوعات التى كانت تلقى فيها المحاضرات، فمن محاضرات فى علوم الفلك يلقيها إسماعيل (باشا) مصطفى الفلكى ناظر مدرسة المهنسخانة، والطبيعيات لمنصور (أفندى) أحمد أحد أساتذة المهندسخانة، وأحمد (بك) ندا فى علم النبات، إلى الآداب العربية للشيخ حسين المرصفى، وفقه الإمام أبى حنيفة للشيخ عبد الرحمن البحراوى، والشيخ أحمد المرصفى فى التفسير والحديث... وهكذا(٦٥).

ـ كذلك تأسست الجمعية الجغرافية الخديوية عام ١٨٧٥ بتشجيع من الخديوى إسماعيل نفسه، وما زالت هذه الجمعية قائمة حتى الآن، والغرض منها العناية

بالأبحاث الجغرافية والعلمية وتدوينها ونشرها، وأصدرت مجلة خاصة بها لنشر البحوث والدراسات(٦٦).

فى التعليم الفنى:

وحتى الحرب العالمية الثانية لم تتجه الدولة إلى تقديم برامج يمكن أن تندرج تحت مظلة تعليم الكبار، إلا فيما ندر، حيث أن جهودها الأساسية فى التعلم النظامى كانت دون الحد الأدنى المطلوب إلى حد كبير، ومن هذه الجهود النادرة ما قامت به بعض مجالس المديريات بالنسبة للتعليم الزراعى، فعلى الرغم من ترديد سلطات الاحتلال البريطانى لمقولة أن مصر بلد زراعى، لكن هذا لم ينعكس فى ازدهار كان واجبا فى التعليم الزراعى، ولم نر إلا مدرسة زراعية واحدة، لكن مجالس المديريات استطاعت فما بين سنة ١٩١١ و ١٩٢١ أن تنشئ مدارس أطلق على ست منها اسم «مدارس الحقول»، وعلى اثنتين منها اسم «مدارس الزراعة»، كما أطلق على واحدة منها اسم «مدرسة الزراعة العملية»، ولعل السبب فى اختلاف هذه الأسماء يرجع إلى أن هذه المجالس كانت تطلق على المدرسة الاسم الذى يروق لها(٦٧).

وكانت هذه المدارس تهدف إلي مكافحة الأمية الزراعية ونشر الوعي الزراعي السليم بين صغار الفلاحين، وكانت تقبل أبناء الزراعة ممن ألموا بالقراءة ليدرسوا فيها الزراعة العملية، مع قدر بسيط من الثقافة العامة التى تكفيهم لحياتهم فى الريف، بيد أنها لم تلبث أن أغفلت الواحدة بعد الأخرى، على الرغم من اعتراف معتمد الاحتلال «كتشنر» فى تقريره لعام ١٩١٣ بأن المصريين يرغبون فى التعليم الزراعى.

وفى مجال التعليم التجارى أنشئت أقسام ليلية فى أنحاء القطر، بدئ بها فى القاهرة والإسكندرية والمنصورة، وكان يتلقى فيها عمال المحال التجارية وغيرهم من المشتغلين بالأعمال الحرة : مبادئ إمساك الدفاتر، والحساب التجارى.. وقد أقبل عليها كثيرون، وانتشرت هذه الأقسام فى معظم نواحى القطر حتى صار عددها عام ١٩٢٢ أحد عشر قسما، ثلاثة منها فقط تابعة لوزارة المعارف، وثمانية كانت تابعة لمجالس المديريات(٦٨).

وفى تقرير كرومر لعام ١٩٠٢ نقرأ عن أن ديوان الأوقاف قد سعى إلى الجمع بين تعليم الصنائع فى الدكاكين والعنابر والتعليم فى الكتاتيب وأفلح فى ذلك، ثم إن مديرى ترسانة مصر والمطبعة الأميرية مدحوا فى تقاريرهم الفتيان الذين كانوا يتعلمون تحت إدارتهم فأخذت التدابير اللازمة للتوسع على هذا الطريق.

محو الأمية:

لم تكن ثورة ١٩١٩ مجرد ثورة سياسية، ذلك أن صفتها الشعبية جعلت منها قوة تفجير لطاقات الوطنية فى مجالات شتى، حيث أن الوعى قد زاد بضرورة التعليم فى النهوض الاجتماعى العام، وفى مقدمة المظاهر الدالة على ذلك كثرة الحديث عن الأمية والنظر إليها باعتبارها «عارا» قوميا لابد من العمل على محوه، وخاصة بين الكبار باعتبارهم هم الآباء وهم القوة المنتجة.

وفى تقرير يبين حال التعليم فى مصر فى الفترة من ١٩١٧ إلى ١٩٢٢ نجد إحصاء بأعددا الأميين الذن انتظموا فى فصول محو الأمية التى افتتحتها وزارة المعارف، وتلك التى افتتحتها مجالس المديريات، وكانت مجالس المديريات تعتمد اعتماد كبيرا على التمويل الذاتى مما جعل منها كيانا شبه مستقل عن الحكومة، وفاقت جهود هذه المجالس جهود الحكومة نفسها[٦٩]، ففى الوقت الذى انتظم فيه ٤٤٥ (٣٣٥ بالقاهرة، و١١٠ بالإسكندرية) دارسا فى فصول المعارف، انتظم فى فصول مجالس المديريات والأهالى ٢٨٤١ دارسا، وكان الدافع لفتح هذه الفصول هو تعليم العمال بصفة خاصة، وكان من الطبيعي أن يعلن عن هذا الاتجاه بأسلوب عبر عن الغيرة الوطنية كما يتضح لنا من القول «لما رأته من انتشار الجهل بين أفراد طائفة العمال انتشارا لا يحسن السكوت عليه، ولعجزهم عن تعليم أنفسهم لفقرهم وانشغالهم بالسعى فى سبيل القوت» [٧٠].

ولكن يظهر من تحليل صناعات الأميين الذين كانوا يتعلمون فى هذه الفصول ما يدل على أنهم كانوا موزعين بين المهن والحرف المختلفة فكان حوالى ٣٦٪ منهم فلاحين، وحوالى ٢٩٪ من أصحاب الصناعات الصغيرة كالنجارين والحدادين.. إلخ ،وحوالى ٢٨٪ من عمال الخدمة السايرة، مثل الخدم والسعاة، وحوالى ٤٪ من

مهن مختلفة. وكان برنامج التعليم فى هذه الفصول يتضمن مبادئ القراءة والكتابة، والحساب ، والدين والصحة، والأخلاق(٧١).

وزاد الحماس بصفة خاصة عقب صدور تصريح فبراير مسنة ١٩٢٢ بمنح مصر استقلالا مشروطا، ثم صدور دستور ١٩٢٣، فقد أبدي على ماهر الذى تولى المعارف فى مارس١٩٢٢ اهتمامه بتعليم العمال الأميين، وكان تعليم هؤلاء فى المدارس الأولية وبنفس معلميها. وقد نما عدد المدارس والتلاميذ فى بداية الأمر، ولكن بعد عام ١٩٢٦، حيث قد بدأت فترة الاضطراب الاقتصادى والتى بلغت ذروتها عام ١٩٢٩، أخذ العدد يتقلص، وبقى الأمر يسير فى حدود ضيقة للغاية حتى عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥، ففى عام ١٩٢٦ كان هناك ٥٠٠ مدرسة بها ٣١٨٧٧دارسا، وفى العام ١٩٣٢ نقص العدد إلى ٣٠٨ من المدارس و١٤٢٦٣ من الدارسين، واستمر الضعف يصيب هذه الحركة حتى وصل عدد المدارس إلى ١٦٨ بها من الدارسين ٥٦٨١ فى عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥(٧٢).

ومن الملاحظ أنه فى الفترة من عام ١٩٠٧ إلى عام ١٩١٧ كان معدل الانخفاض السنوى للأمية نحو ١٤ ,٪ وفى الفترة من ١٩١٧ إلى ١٩٢٧ كان معدل الانخفاض السنوى للأمية نحو ٥٨ ,٪ وفى الفترة من ١٩٢٧ إلى ١٩٣٧ كان معدل الانخفاض نحو ٧ ,٪، فى حين إنه فى الفترة من ١٩٣٧ إلى ١٩٤٧ أصبح المعدل ٨ ,٪

وعلى أية حال فإن العمل فى محو الأمية فى تلك الفترة لم تكن له ميزانية مستقلة، بل كان ينفق عليه من التبرعات الأهلية والفردية، وما كانت ترصده مجالس المديريات من ميزانيتها الخاصة بالتعليم الأولى للإنفاق على بعض الأقسام الخاصة بمحو الأمية، بالإضافة إلى ما ترصده وزارة المعارف دون الإشارة إلى حجم الأموال المرصودة لهذا العمل.

ومن الملاحظ أن المعلمين الذين كانوا يقومون بالتدريس فى أقسام محو الأمية فى تلك الفترة كانوا من بين طلاب الدراسات العليا والأزهر وطلاب الجامعات، وقد قاموا بهذا العمل على سبيل التطوع وبدافع من المشاعر الوطنية، وربما يتفق هذا مع ما كان معروفا من أن العمل فى تلك الفترة كان ينشط ويتم على أيدى مثقفين من أبناء الوطن مدفوعين إلى ذلك بدوافع وطنية وبالدرجة الأولى (٧٣).

أما عن تنظيم العمل فى تلك الفترة ، فلم يكن هناك تشريع منظم يلزم الأميين بالتعلم ويلزم الدولة والهيئات بضرورة تقديم فرص التعليم لهم، حيث كان العمل فى هذا الوقت مرتبطا، كما قلنا، بصور الحماس الوطنى، ويقوم على الجهود التطوعية، وكان سير العمل تخصصص له بعض الفقرات أو السطور فى ثنايا التقارير التى تصدرها الوزارة عن التعليم الأولى، ويبدو أن وزارة المعارف كانت تود لو إنها تمكنت من التخلص من عبء تعليم الأميين وأن تضطلع به وزارة أخرى(٧٤).

المراكز الاجتماعية:

وأثناء الحرب العالمية الثانية بدأ وعى يظهر بضرورة أن يحظى الفلاحون بصفة خاصة بالعناية، وكثر الحديث عن الثالوث الشهير ألا وهو الجهل والفقر والمرض، وحاول البعض أن يبين أن الفقر والمرض هما من نتاج الجهل، وبالتالي فإن مهاجمة الجهل يمكن أن تعين الفلاحين والعمال عل أن يكونا قوى منتجة أكثر فعالية فيقضوا بذلك على الفقر، فضلا عن أن المرض هو نتاج هاتين الآفتين : الجهل والفقر.

وبدأ يتسرب إلى مصر تفكير بعض المجتمعات الأوربية بضرورة إنشاء مراكز اجتماعية فى القرى بغية النهوض متعدد الجوانب بحياة الفلاحين، وكانت مهمة إنشائها هى من أهم المهام التى عهد بها إلى وزارة الشئون الاجتماعية التى أنشئت حديثا بمصر. وبدأ التفكير بأن يكون هناك مركز لكل عشرة آلاف نسمة يكون فيها أخصائى اجتماعى زراعى للإرشاد فيما هو خاص بالزراعة والشئون الاجتماعية، وأن يكون فى هذا المركز طبيب يقيم فى تلك الجهة، وزائرة صحية تتولى أعمال ـ التوليد، ورعاية الأطفال والأمهات وأن يوجد ممرض وممرضة بجانب الطبيب، وموظف صغير يتولى الأعمال الكتابية، وبدأ تنفيذ ذلك فعلا أوائل الأربعينيات(٧٥).

وتركزت المهام التى أوكلت إلى هذه المراكز فيا يلى(٧٦):

ـ المحافظة على صحة الأهالى ووقايتهم من الأمراض الكثيرة بتفهيمهم مضار المياه الآسنة والملوثة فى الترع والمراوى، ومراقبة تطهير مصادر المياه.

ـ تعويد الأهالى علي أن يقوموا على مصالح أنفسهم بأنفسهم وبأقل النفقات، مع تشجيع هؤلاء الناس بوسائل التشجيع المادية والأدبية.

- السعى فى إيجاد ماء نقى يتمكن الفلاح به من أن يشرب أو يغسل بدنه وملابسه وأدوات منزله

- تكاتف المراكز الاجتماعية والمجالس القروية فى محو الأمية بين الأهالى، ورفع مستوى ثقافتهم إلى المستوي الذى يفهمون به معنى الحياة،وأسباب الأمراض التى تنتاب الفلاح ، خاصة وأنها منتشرة فى البلاد وبحالة مزعجة.

- إفهام الفلاح وسائل العلاج من الأمراض التى تنتابه فيما لو أصيب بمرض، لا أن يترك نفسه كما كان الحال قائما فى هذه الفترة : يهجر الطبيب، ويكره الطبيب، ويتداوى بالأدوية الخرافية القديمة.

- هذ ه المراكز الاجتماعية من الوسائل الفعالة لتكوين النقابات المختلفة، وغرس بذور التعاون والتضامن بين الأفراد وتمتعهم بنعمة الوفاق والوئام.

- إذا تأكد الحرص على الوصول بهذه المراكز الاجتماعية إلى رفع مستوى الفلاح صحيا وثقافيا وأدبيا أصبح الفلاح فى حالة صحية وعقلية تجعله أكثر مناعة وأعظم حظا فيكثر الإنتاج حتما تبعا لسلامة صحته وعقله، ويرتفع أجره تبعا لكثرة إنتاجه.

وقد حظيت حالة أهل الريف بعناية بعض رجال الفكر والاقتصاد، فهذا حافظ عفيفى (باشا) يقدم اقتراحا يخص خريجى المدارس التى كانت تسمى إلزامية، والتى كانت تنتهي بطلابها بالتخرج منها دون فرصة لمواصلة التعليم نظرا لأن جمهرتهم من أبناء الفقراء وخاصة فى الريف، فطالب بفتح مدارس زراعية وصناعية خاصة يدخلها من امتازوا بالنجاح الباهر فى التعليم الإلزامى، على أن تكون مدة الدراسة سنتين أو ثلاثا يدور التعليم فيها على مبادئ الزراعة والصناعة التى يمكن لهؤلاء الشبان أن يدرسوها، مع ضرورة التأكد بجميع الوسائل الممكنة من حسن استعداد من يمنح هذه الفرصة كى يستفيد منها، وكذلك أهمية أن يكون التعليم فى هذه المدارس الزراعية أو الصناعية التى تنشأ لخريجى التعليم الإلزامى عمليا يشتغل فيه التلاميذ بأيدهم، ومن هنا اقترح حافظ عفيفى أن يلحق كل منهم أثناء الدراسة بمزرعة من مزارع الأفراد أو مزارع الحكومة أو بمصنع من المصانع، وفضل أن تلحق

هذه المدارس ببعض المزارع أو المصانع التى أوجب اشتغال التلاميذ فيها بصفة صبية فترة من النهار وفى شطر إجازتهم الصيفية(٧٧).

ومن أهم الآراء التى ساقها حافظ عفيفى فى مجال تعليم الفلاحين الكبار مناداته وزارة الزراعة أن تقلل من أعمالها الكتابية والإدارية وتزيد أعمالها فى الفن الزراعى، ليكون فى استطاعة موظفيها الفنيين بذل النصائح والإرشادات اللازمة لجميع من يطلب مساعدتهم من الزراع من يريدون بحث حالة أرضهم أو حدائقهم وإرشادهم إلى ما يجب عليهم لتحسين زراعتهم، وفى سبيل ذلك أوجب حافظ عفيفى أن يترك مفتشو الوزارة مكاتبهم وأن يتجولوا طوال السنة فى القرى ليقفوا على حالة الزراعة فيها، مع ضرورة أن يقوم هؤلاء الموظفون أثناء تجولهم بإلقاء محاضرات سهلة بسيطة يكون فى متناول الفلاح العادى فهمها عن كل مايلزم معرفته من مبادئ الزراعة الأولية، ومايجب أن يعلمه فى كل الأدوار الزراعية لكل صنف من مزروعاته ليحصل على أحسن النتائج، ووجه النقد إلى ما كان يذاع فى الراديو فى هذا المجال من أحاديث ترتفع كثيرا عن مستوى الفلاح، سواء فى تغلب التعقيدات اللغوية على أسلوبها أو لصعوبة موضوعاتها، أو لقلة فائدتها من الجهة العملية البحتة(٧٨).

خامسا: الأحزاب السياسية

منذ أن شهدت مصر التجربة الحزبية عم ١٩٠٧، عرفت بعض الأحزاب قيمة التعليم فى النهوض الاجتماعى، فأدلت بدلوها فى الدعوة إليه ونشره ومناقشة قضاياه وقام عدد منها بافتتاح بعض معاهده، وكان من هذه ا لمعاهد والمؤسسات ما يصب فى مجال تعليم الكبار، ونعرض فيما يلى نماذج من مثل هده الجهود:

الحزب الوطنى:

فقد أكد مؤسس هذا الحزب، الزعيم الوطنى الكبير مصطفى كامل، وقبل إقامة هذا الحزب عام١٩٠٧، وعلى صفحات جريدته (اللواء) مدى اهتمامه بالتعليم كأحد أسلحة الحركة الوطنية فى مقاومة الاحتلال البريطانى، بل وفى بناء مصر بصفة عامة، وتجلى هذا منذ سنوات تعليمه المبكرة، فبينما هو فى السنة الثانية

بالمدرسة التجهيزية (الثانوية) أسس جمعية أدبية وطنية اسمها جمعية «الصليبية الأدبية» نسبة إلى الحى الذى كان يعيش فيه، ودعا بعض زملائه ليكونوا أعضاء فيها، واتخذ منهم جمهورا له يسمع خطبه ومحاضراته(٧٩). وعلم بأمر جمعية أدبية أكثر من جمعيته انتظاما هى جمعية «الاعتدال» التى كانت تعقد جلساتها الأسبوعية فى مدرسة الأمريكان، فانضم إليها ليوسع دائرة معارفه، وليعوض موهبته فى الحديث والخطابة، والظاهر أن التوفيق حالف هذه الجمعية فانضم إليها سبعون عضوا.

ثم نلمح بعد ذلك، عندما تخرج وأصبح زعيما وطنيا مشهورا، وعيا بمبدأ استمرارية التعليم، وعلى سبيل المثال، ففى الثامن من يناير عام١٨٩٨ أقام طلاب المدارس حفلا بحديقة الأزبكية بمناسبة عيد ارتقاء عباس حلمى العرش، وقد أسمع مصطفى كامل الطلاب فى هذا الاحتفال معنيين من أكبر المعانى التى بقيت مصر تفتقد أثرهما فى حياتها سنوات طويلة، أولهما ألا يظن الطلاب أنهم انتهوا من حياة العلم بمجرد حصولهم على الشهادة العليا، «فحياة العلم ممتدة إلى آخر العمر»، والمعنى الثانى، ألا يحملهم حصولهم على شهادة عالية على الظن بأنهم أعلى من مواطنيهم الذين لم تتح لهم فرصة التعليم(٨٠).

ثم تجلى هذا بدرجة أخرى على يد خليفة مصطفى كامل فى زعامة الحزب، وهو محمد فريد، فقد اعتزم الحزب الوطنى، منذ أواخر سنة ١٩٠٨، بتوجيه محمد فريد، إنشاء مدارس ليلية شعبية، لتعليم الفقراء من العمال مجانا، حيث كان التعليم قد بدأ يئن تحت أعباء المصروفات التى كانت قد بدأت تتزايد عاما بعد عام، مما حال بين جموع الفقراء وبين حصولهم على حق أبنائهم فى التعليم، فأنشأ الحزب ببولاق مدرسة من هذا النوع، وبدأت الدراسة فيها فى نوفمبر عاما ١٩٠٨، وألقى «أحمد بك لطفى» أول درس بها، وموضوعه : «الشئون الاجتماعية»(٨١).

وكان برنامج هذه المدارس يتناول المواد التالية : القراءة والكتابة ـ دروس الدين ـ قانون الصحة والاحتياطات الصحية ـ العناية بتربية الأطفال ـ القوانين الخاصة بالمعاملات اليومية ـ الشئون الاجتماعية ـ تاريخ مصر والتاريخ الإسلامى ـ جغرافية مصر ـ أخلاق وآداب.

ومن الملاحظ على هذه المواد أنها لا تسير على نفس النسق الذى كانت تسير عليه المواد المقررة فى المدارس النظامية،لأنها لم تكن تؤهل لامتحان شهادة من الشهادات، مما يجعلها تقع فى قلب تعليم الكبار بالفعل، ولا ينقص من قيمتها أنها لم تكن تفرد مجالا لتعليم مهنى، وإن كان هذا سيتم فى تجارب تالية، لكنها على أية حال مواد مما يدخل فى تربية المواطنة، من زواياها المختلفة.

وقد تطوع الشباب وأعضاء الحزب لتدريس هذه المواد وإلقاء الدروس الليلية على العمال، ويذكر عبد الرحمن الرافعى المورخ الكبير والقطب الوطنى أنه سمع زعيم الحزب نفسه، محمد فريد يلقى فيها درسا .وبلغ عدد المدارس التى أنشأها الحزب سنة ١٩٠٩ لتعليم الصناع مجانا، أربع مدارس فى أقسام الخليفة وبولاق وشبرا والعباسية، تضم كل منها نحو مائة وعشرين تلميذا من مختلف الحرف(٨٢) . ثم انتشرت هذه النوعية من المدارس العليا فى هذه الحركة، إذ ألفت لجنة لنشر مدارس الشعب، وتولى أعضاؤه التدريس فيها.

ويؤكد عبد الرحمن الرافعى أن هذه المدارس كان لها فضل كبير عليه، فهى التى ألهمته الفكرة الأولى لكتابه (حقوق الشعب)، فإن هذا كتاب هو سلسة دروس ومحاضرات لتفهيم الشعب حقوقه وواجباته، وكانت دروس الرافعى فى مدرسة الشعب بالخليفة نموذجا مصغرا للأسلوب التى أنتجه فى هذا الكتاب(٨٣).

لكن يبدو أن هجرة محمد فريد من مصر عام ١٩١٢، بعد سلسلة من المضايقات التى وصلت إلى حد سجنه، قد خلفت آثارا سلبية على مسيرة المدارس، فبدأ الوهن يعرف طريقه إليها، خاصة وأن الخديوى عباس حلمى كان يبذل جهوده لاستمالة عدد من أعضاء الحزب الوطنى إلى صفه، ومن هنا نفهم ما كتبه عبد القادر حمزة إلى فريد فى أول يونية عام ١٩١٢، أى بعد خروجه بقليل، ما يؤكد هذا المعنى، فقال : «أما مدارس الشعب فقد أعطينا العباسية وبقية المدارس، عدا مدرسة بولاق، أجازة ثلاثة أشهر، وذلك لأن عجز هذه المدارس كبير، وقد نفدت النقدية، وقد جمعنا ثلاثة جنيهات أخرى عن طريق التبرع، نفدت أيضا.. ونظرا إلى أن الوقت صيف لا ينتظر ربحا من ليلة تمثيلية (لجمع التبرعات) لذلك فكرنا فى إيقافها مؤقتا فأعطيناهم هذه الأجازة، أما مدرسة بولاق فرأيت إبقاءها ودفعت لها عجز الشهر

الماضى من عندى لأنه بسيط وهو ١٥٠ قرشا، ولأن المتعهدين قالوا أن العجز فى الأشهر المقبلة لا يمكن أن يزيد عن ٥٠ قرشا، فرأيت إبقاءها ودفع هذا العجز من طرفى حتى نقيم ليلة فى أكتوبر وعند ذلك نعيد جميع المدارس»[٨٤].

لكن الجهود الضخمة التى بذلها قطب الحزب الوطنى الشيخ عبد العزيز جاويش سطرت سطورا مضيئة حقا تشير إلى مدى ما يمكن أن تفعله الروح الوطنية فى قلب من يحملها فتبدو حركته وكأنهاحركة فريق كبير يملك إمكانات ضخمة، لكنه الإيمان الوطنى، فضلا عن الدينى، والحماس، والإخلاص، والصدق، وروح المثابرة وقوة الإرادة، والعزيمة.

ومن حسن الحظ أن جاويش كان من رجال التربية والتعليم وترك هذه المهنة عام ١٩٠٨ ليتفرغ للعمل الصحفى الخاص بالحزب الوطنى، لكنه لم ينس أبدا ما يجب عليه أن يفعله من أجل تعليم أبناء الأمة، فقد أنشأ ما أسماه بالمدرسة الإعدادية بدرب الدليل قسم الدرب الأحمر ودعا المواطنين إلى إرسال أبنائهم إليها، وكان جاويش يعلم فيها بنفسه، وقد رأى أن يفتتحها فى خلال أجازات الصيف حتى لا تضيع أوقات الشباب فيما لا ينفع[٨٥].

كذلك مضى جاويش بجمع التبرعات والاكتتابات لفتح مدارس أولية لتعليم أبناء الشعب، وفى سبيل ذلك طوف بالبلاد وتحدث فيها عن مشروعه، وكون اللجان، وبدأ فى جمع التبرعات والاكتتابات اللازمة وأنشأ فى القاهرة ما أطلق عليه جمعية تشجيع التعليم الحر.

كذلك دعا جاويش إلى إنشاء نوع من التعليم الزراعى، وآخر للتعليم الصناعى، ومدارس النسيج. بهدف تحقيق أمرين[٨٦] :

١ ـ تغطية النقص فى برامج مدارس الحكومة، وإعطاء أبناء الفقراء الفرصة للبروز والنبوغ، وتوسيع نطاق المناهج، وخلق روحها الوطنية ، والعناية بالتربية التى أغفلتها المناهج تماما.

٢ ـ حماية الطلاب من مناهج التعليم الأجنبى التى كانت تهدف فى الغالب إلى القضاء على وطنية وإسلام التلاميذ الملتحقين بها.

و استطاع جاويش أن يجمع، من صدقات رمضان وجلود أضاحى العيد ما وصل إلى ثلاثمائة جنيه، دفعته إلى إصدار قانون الشركة الأهلية الذى وضعته لجنة لإصلاح التعليم، وهدفه تسهيل التعليم للأهالى، بنين وبنات، وكان التعليم عنده عملا وطنيا بالنسبة للمدرسين لا يأخذون عليه أجرا.

وكان مما كتب عنه، مدرسة النسيج، وقد أرادها على مثال ما رآه فى مدينة ليون بفرنسا، يقبل فيها حملة الشهادة الابتدائية أو من أتموا دراستهم فى الكتاتيب بنجاح. ويبدو أن زيارته لمدرسة ليون كان لها أكبر الأثر فى ذلك فقد وجدها على بساطتها وزهادة قيم الآلات البخارية المستعملة هناك كثيرة الفوائد، جمة المنافع «يؤمها الطلاب فيتعلمون فيها مايختص باستعمال تلك الآلات، ثم ما يتعلق بالتلوين والرسم والنسيج بالفعل وهلم جرا. ومما ينبغى أن يلاحظ هنا أن لتلك المدارس غلة ربما لا تكاد تحتاج معها إذا بيع نسيجها إلى مساعدات أخرى»(٨٧).

ولم تتح له الظروف أن ينفذ هذا، فقد طوحت به أعاصير السياسة التى واجهته.

ولعله من المفيد أن نتوقف طويلا أمام شهادة الدكتور طه حسين على تلك الجهود التى كان جاويش يبذلها، ونال من فضلها طه حسين وهو فى بدء حياته وخاصة فى عامى ١٩١٠، و١٩١١، قال(٨٨): «على أن فضل الشيخ عبد العزيز جاويش على الفتى (طه حسين) لم يقف عند هذا الحد، بل تجاوزه فأمعن فى تجاوزه، فهو الذى عرف الفتى إلى جماهير الناس، ودفعه بين أيديهم ذات صباح منشدا للشعر كما كان يفعل الشعراء المعروفون فى بعض المناسبات.. ثم لم يقف الشيخ عبد العزيز بالفتى عند هذا الحد، ولكنه علمه الكتابة فى المجلات،فقد أنشأ مجلة الهداية وطلب إلى الفتى أن يشارك فى تحريرها، ثم ترك له الإشراف على هذا التحرير.

وكان له الفضل فيما تعلم الفتى من إعداد الصحف وتنسيق ما ينشر فيها من فصول، ثم أضاف الشيخ إلى كل هذا الفضل فضلا آخر وقع من نفس الفتى موقع الماء من ذى الغلة الصادى أرضاه عن بعض حاله وأكبره من نفسه شيئا، وأشعره بأنه قد أتيح له أن يجلس مجلس المعلم، فقد أنشأ جاويش مدرسة ثانوية، وكلف الفتى أن يعلم فيها الآداب على ألا ينتظر على ذلك أجرا، فالمدرسة «عمل وطنى» لا أجر عليه لمن يشارك فيه، ولم يكن الشيخ يفيد من هذه المدرسة شيئا، وربما أنفق عليها من

رزقه، وكلف نفسه فى سبيل ذلك شيئا من الحرمان، وربما ألح على بعض الأغنياء وأوساط الناس حتى استكرههم على أن يعينوه على نفقاتها ببعض المال، ثم لم يلبث هذا كله أن انقطع فجأة وصرف الشيخ عنه بأحداث السياسة، ثم اضطر إلى أن يهاجر من مصر على غير انتظار لهجرة .. وهو على كل حال قد أعان الفتى على الخروج من بيئته تلك المغلقة إلى الحياة العامة، وعلى أن يكون له اسم معروف».

وظهرت جمعية كان هدفها المعلن هوالمساهمة مع جاويش فى جهود نشر العليم كان اسمها : «جمعية التشجيع على التعليم الحر» التى أسسها «أحمد إبراهيم السروى» وكان ترزيا، وتولى سكرتيريتها «إسماعيل فرج»، وكان كاتب محامى ، ورغم أن الهدف الظاهر لهذه الجمعية كان جمع المال للشيخ جاويش للتشجيع على تنشيط مشروعه للتعليم الوطنى، إلا أنه كشف عن أهداف سياسية للجمعية، يبدو أنهاكانت هى الأصل(٨٩).

وعندما عاد جاويش إلى مصر عام ١٩٢٣، عاد إلى مجاله الأصلى ـألا وهو التربية والتعليم ، فاذا به يتوجه توجهات يعجب الإنسان حقا عند ما يطلع عليها اليوم فيجد أن الرجل قد سبق عصره بعشرات السنين، فقد كانت قضية الأمية تشغله وتقلقه، لكنه لم ينظر إليها فقط على اعتبار أنها مسألة جهل بالقراءة والكتابة فقد كان يهمه بالإضافة إلى ذلك اكتساب حسن الخلق، وضرورة العمل(٩٠) : «إنكم لتعلمون أن تفشى الأمية بالشعب المصرى كان مصدر الآلام، كما كان كذلك فى كل أمة من قبل،ولقد جاء الدستور داعيا لمعالجة هذه الحالة فجعل التعليم إجباريا. لابد من التوسع فى مكافحة الأمية حتى تبلغ المستوى اللائق، إن الأمية ليست ألد أعدائنا، ولكن ألد أعدائنا هو انحطاط الخلق، وتعطل اليد عن العمل».

وركز جاويش بصفة خاصة على قضية اكتساب مهارات العمل، على أساس أن الحاجة الرئيسية فى تربية المواطن إنما تكون بإشعاره بحاجته إلى أن يكون ذا مشاعر تقوم على الاعتزاز بالذات، ولا يتحقق له هذا إلا إذا استطاع أن يعتمد على نفسه، والاعتماد على النفس إنما يكون بالقدرة على كسب الرزق، وامتلاك مهارات هذا الكسب عن طريق إجادة صناعة أو حرفة، وذكر خبرة مر بها قبل مرحلة الهجرة

خارج مصر، أى قبل عام ١٩١٢ من حيث التدريب على عمل حرفى، فقد أتوا ببضعة تلاميذ من بولاق والقلعة وسيدنا الحسن، وكانوا نحو عشرين من كل حى، ووضعوهم فى مصنع، ومن الذين أرسلوهم رجل ذو لحية كثة، وكان من الحى الحسينى، وهؤلاء هم الذين فتحوا أكثر المصانع التى وجدت بعد ذلك، ولكن هذه التجربة لم تدم أكثر من ثلاثة أعوام ونصف(٩١).

ويشتد إلحاح مربينا على قضية التدريب العملى، وليقارن القارئ بين ما قاله جاويش فى هدا الشأن وماظهر بعد ذلك فى أوائل السبعينيات عما سمى بالتعليم الوظيفى للكبار، وسوف يجد أن الرجل كان أكثر استشعارا، ومنذ وقت مبكر لهذه المسألة ، حيث أن تاريخ كلامه هو عام ١٩٢٥، فيقول : «تقولون القراءة والكتابة، كأن القراءة والكتابة هما وحدهما كل شئ. إنهما ليستا أكثر من وسيلتين، أما الغاية فمعالجة الحياة، والتغلب على صعابها».

ولأنه لاحظ أن مناهج التعليم النظامى تنحو نحو اللفظية والثقافة الكلامية، فقد اقترح بعض المقررات التى لابد من إضافتها حتى يرتبط الطلاب بعالم العمل، وتتصل الأسباب بينهم بين الحياة، وكانت هذه المواد المقترحة كالتالى (٩٢) :

«التجارة»، وذلك أن يلم التلميذ بفائدة كل آلة من آلاتها، وأن يدرب على العمل بها حتى إذا ما احتاج إليها عمل بها أو إذا رآها يدله علمه بها على وضعها فى موضعها.

«صف الحروف واستعمال أداة الطبع»، والغرض من تعليم الطلبة كيفية طبع الكتب التى بين أيديهم إنما هو تمكينهم من صنعة ينتفعون بها فى المستقبل، هذا فضلا عن الفوائد المعنوية الجليلة التى يكتسبها بدراسة دقائق هذه الصنعة وأسرارها.

«مبادئ الفونوغرافية»، وذلك بأن يرشدوا إلى كيفية تركيب الآلة المصورة وكيفية استعمالها وما تحتاجه بعد ذلك من الأعمال حتى تظهر الصورة على الورق الحساس، ولا بأس أن يعرفوا الأجزاء التى يمكن بها استخراج الصورة ومقدار كل حامض معرفة بسيطة.

«استعمال الدفاتر التجارية»، وذلك بأن يتعلم الطلبة ما يسمى فن مسك الدفاتر التجارية والغرض منها، وأقسام الأقلام وفائدة كل قلم وكيفية العمل له، وفائدة هذا الفن ضبط الحسابات التجارية على الطريقة النظامية وتمكين عارفيه من التماس أسباب الرزق من طريقه.

وكان الجهد الذى بذله الحزب الوطنى فى تأسيس نقابة الصنائع اليدوية عام ١٩٠٨ مجالا آخر أدخل طائفة ضخمة هى العمال إلى مجال تعليم الكبار. صحيح أن الدافع الأساسى لحركة تأسيس النقابات العمالية كان دافعا مهنيا ، من حيث الاهتمام بالعلاقة بين العمال وأصحاب العمل، وعقود العمل والحالة الصحية، وما إلى ذلك مما يتصل بالأجور والأجازات والفصل من العمل، إلا أنها من ناحية أخرى لفتت الانتباه إلى أهمية الارتفاع بمستوى الوعى العام للعمال، فهو « الطاقة» الحقيقة التى يعتمدون عليها فى الحركة فى اتجاه تصحيح أوضاعهم، وعندما نقول الوعى العام فهذا يعنى قدرا من المعرفة، قد يكون فى البداية بسيطا، لكن وجوده يسهم فى إيجاد مناخ صحى يدفع إلى طلب المزيد من المعرفة والتدريب(٩٣).

وقد توافر عدد من شباب الحزب الوطنى على دراسة لوائح النقابات فى الخارج وانتهت دراساتهم الى وضع القانون الأساسى لنقابة الصنائع اليدوية الذى نشر بجريدة اللواء فى عددى ١١و ١٢ من يناير عام ١٩١٠، فحدد الغرض الذى أقيمت النقابة من أجله بالعمل على «تحسين حالة أعضائها المادية والأدبية، وترقية الصناعة، وإيجاد روابط ودية بينهم»(٩٤). ولكى تحقق النقابة هذا الغرض أنشأت قلما للاستشارة القضائية، وقلما للإعانات المالية، وصندوقا للتوفير والتقاعد، وإلقاء المحاضرات، وإنشاء الأندية، وتأسيس شركات تعاون على شراء ضروريات الحياة.

ولم تكن حركة إنشاء مدارس الشعب الليلية إلا لسد حاجات العمال بصفة خاصة، قال محمد فريد فى ذلك فى السابع من يناير عام١٩١٠ «لا سبيل لإيجاد مثل هذه الحركة المباركة (يقصد الحركة النقابية) حتى يصبح الصانع والزارع فى مأمن من الفقر والتكفف عند الشيخوخة أو المرض أو لتحسين حالته المعاشية إلا بالإكثار من فتح المدارس الليلية فى المدن والقرى لتعليمهم حقوقهم وواجباتهم وتفهيمهم أهمية النقابات وشركات التعاون(٩٥).

ولما كانت الجمهرة الكبرى من القوى العاملة المصرية من الفلاحين، كان من الطبيعى أن يلح محمد فريد على تأسيس نقابات خاصة بهم، تكون وظيفتها مزدوجة، فهى تعنى بالجوانب المهنية والمعاشية، وهى تهتم كذلك بتعليم المزارعين، ومن هنا قال محمد فريد عام ١٩١٠ : «وبجب على المشتغلين بتشكيل النقابات الزراعية أن يهتموا بإيجادها حتى تشتغل بتخفيف الضرائب عن الأطيان الزراعية وتحسين حالة الفلاح المسكين الذى يكد طول عامه هو وزوجته وأولاده ولايحصل إلا على القوت الضرورى من الذرة، واذا نقص محصول القطن عن سداد ما عليه من الإيجار أخذ منه محصول الذرة كله أو بعضه.. فانظروا إلى هذا التعس الذى عليه أساس العمران بمصر والذى لم تتغير حالته المعيشية بل هى حياة بؤس وشقاء وجهل لا يماثله فيها فلاح آخر..». ثم يلح على أن أحد السبل الأساسية لتخليص الفلاح من هذه الحالة المزرية هى نشر التعليم.

ومن المهم أن نلتفت إلى أن قانون نقابة الصنائع اليدوية كان ينص إلى جانب العضوية العاملة للصناع والعمال، على نوع آخر من العضوية يطلق على المتمتعين بها اسم «الأعضاء المساعدين أو أعضاء الشرف»، وهؤلاء فى واقع الأمر مجموعة محدودة من الأطباء والمحامين والمدرسين المنتمين للحزب الوطنى كانوا يقدمون مساعداتهم للنقابة ، وكان أغلب هذه المساعدة يتعلق برفع مستوى الوعى لدى الطبقة العاملة(٩٦).

الإخوان المسلمون:

ونحن هنا نتناول هذه الجماعة من زاوية بعينها هى التى تتصل بموضوعنا بغض النظر عن الموقف منها، قبولا أو رفضا، فالمسألة هى حقائق تاريخية لابد من التوقف أمامها خاصة وأن هذه الجماعة كان لها حضورها الكبير وموقعها فى حركة المجتمع المصرى منذ أن ظهرت إلى الوجود عام ١٩٢٨، فضلا عن أنها ربما أكثر من غيرها من التنظيمات السياسية والدينية الاجتماعية التى عرفت الطريق إلى العمل التربوى بأبعاده المتعددة إلى الدرجة التى تجعلنا نؤكد أن قوتها إنما اعتمدت على الأبعاد التربوية التى اعتمدتها ، وعلى منهجها التربوى فى تكوين أعضائها، وانتشارها فى كثير من البلدان العربية. لكننا فى نفس الوقت لابد أن نعترف أن كثيرا من الأشكال

التربوية التى مارستها هذه الجمعية كانت خاصة بأعضائها ولم تكن مفتوحة للجميع، وبمعنى آخر كانت تربية «للكوادر» الخاصة بها، باستثناء بعض الأنشطة العامة ، مثل محوالامية.

بل إن من الملفت للنظر حقا أن مؤسس الجماعة بدأ جماعته أولا من خلال دروس دينية، كانت بحكم المكان الذى ألقيت فيه وبحكم جمهورها هى بالفعل «للكبار» حيث كان يلقيها فى« مقهى» بمدينة الإسماعلية، وقد اختار لذلك ثلاث مقاه كبيرة، تجمع ألوفا من الناس ورتب فى كل منها درسين فى الأسبوع، وأخذ يزاول التدريس بانتظام فى هذه الأماكن، وقد بدأ هذا اللون من ألوان الوعظ والتدريس الدينى غريبا فى نظر الناس أولا، ثم مالبثوا أن ألفوه وأقبلوا عليه(٩٧).

كذلك كان فى الإسماعيلية فى هذ الفترة نادى للعمال كانت قد أنشأته جمعية للتعاون، وكان يؤدى رسالة جيدة فى محيط العمال الاجتماعى، وكان فيه نخبة من الشباب المثقف الذى يريد أن يستمتع ويتعلم، وكان هناك كذلك فرع جمعية منع المسكرات تلقى فيه بعض المحاضرات والأحاديث المتعلقة بهذا الغرض، وقد انتهز «البنا» هذه الفرصة واتصل بالناحيتين، وأخذ يلقى بعض المحاضرات الدينية والاجتماعية والتاريخية التى كان لها دورها فى تعليم الكبار(٩٨).

ومن أبرز ما عرفته الجماعة، ذلك النظام الذى عرف باسم نظام«الأسر» . وكانت تتكون من خمسة أفراد، وهذا العدد هو أدنى عدد لجماعة تريد أن تؤدى جميع أنشطة الدعوة من دراسة لفكرة ونشر لها، والأخذ بنظم التربية البدنية والعقلية والروحية، مع متابعة تطورات الأحداث ودراسة كل تطور وإصدار القرار المناسب له(٩٩).

كان تكوين الأسرة من هذا العدد القليل يسهل لها الوجود فى أى مكان وفى أى وقت دون التقيد بمكان معين أو زمن معين. وللأسرة نقيب، ولها صندوق للطوارئ على أساس التكافل الاجتماعى، فكانت الأسر محاضن لتربية الناشئة وإعدادهم دينيا ورياضيا واجتماعيا، وكانت تعنى بدراسة السيرة النبوية، وإحسان تلاوة القوآن وحفظه وتدبر معانيه.

وقد حددت الجماعة بعض الأمور التى يجب أن تنشغل بها الأسرة أثناء اجتماعاتها وهى[١٠٠]:

- أن يعرض كل عضو مشاكله ليشاركه إخوانه فى دراستها وإيجاد الحلول لها.
- مذاكرة شئون المسلمين ومدارسة التوجيهات الواردة من القيادة العامة.
- مدارسة نافعة فى كتاب من الكتب المفيدة.

ولزيادة الروابط بين أفراد الأسرة كان لكل أسرة برنامجا عمليا تمثل فى :

- رحلات ثقافية لزيادة الآثار والمصانع.
- رحلات قمرية رياضية.
- رحلات نهرية للتجديف.
- رحلات بالدراجات أو الخيل.

وعرفت الجماعة كذلك «نظام الجوالة» لتحقيق أهداف تتلخص فى معانى القوة والنظام والأخلاق الرياضية، والإعداد للجندية الصحيحة، وكانت لجماعة الجوالة أناشيدها الحماسية وتدريباتها العملية، وكان فى الفرقة الواحدة الطالب بجانب العامل والفلاح، بجانب المدرس، والتاجر بجانب إمام المسجد، والصانع بجانبه المهندس، والمرؤوس بجانبه الرئيس، والشاب بجانبه الشيخ[١٠١].

وكانت هناك «مدارس الجمعة» حيث يجتمع الصبيان لتلقى دروس التاريخ الإسلامى فى قصص مسلية، مع مبادى الدين، والألعاب الرياضية من الصباح حتى يحين وقت صلاة الجمعة فيقومون بأداء فريضتها ويعودون إلى بيوتهم[١٠٢].

أما قسم البر والخدمة الاجتماعية فى الجماعة فمن أعماله : معهد الدراسات الشعبية فى عابدين، وكان يحتوى على فرع لمكافحة الأمية وفرع لتحفيظ القرآن الكريم، ومدارس الجمعة. وقد بدأ فرع مكافحة الأمية بعابدين فأنشأ مدرسة ليلية يجتمع فيها الأميون من طبقات مختلفة ليتلقوا دروسا فى القراءة والكتابة والحساب والدين، وكان يقوم بالتدريس فيها متطوعون من الإخوان، وبلغ عدد الطلبة حوالى ٣٠٠ من العمال وغيرهم.

كذلك تم فتح شعب لتعليم الأولاد الذين حرموا من التعليم لاشتغالهم بالصناعات ودور للصناعة ملحقة بالمعاهد يتعلم فيها الذين لا يستطيعون إتمام التعليم..

وحين وضعت الحكومة منهاجا لمكافحة الأمية طلبت وزارة المعارف سنة ١٩٤٦ إليهم أن يساعدوها في خطتها(١٠٤).

وإذا كانت الجماعة قد أنشأت معهدا باسم معهد حراء الإسلامى عام ١٩٣١ بالإسماعلية، كان التلاميذ يتلقون فيه الدين والقراءة والحساب والعلوم والجغرافية والتاريخ، فقد كانوا يتلقون بالإضافة إلى ذلك مبادئ التربية الصناعية التى كانت تدعم بالتربية العملية، حيث كان للإخوان بعض الصناعات والورش، وقد تعهد أصحابها بتعليم هؤلاء التلاميذ بعض الصناعات والمهن تحت إشراف المعهد.

وأنشأت الجماعة عام ١٩٣٣ مدرسة أمهات المؤمنين، وكان منهج المدرسة يشمل الثقافة الدينية والقراءة والحساب وتاريخ السلف الصالح رجالا ونساء وتدبير المنزل والشئون الصحية، ومبادئ التربية وريادة الأطفال، وكل ما تحتاج إليه فى تنظيم بيتها ورعاية أطفالها رعاية حسنة

سادسا: تعليم مستمر عال

وشهدت الساحة التعليمية فى مصر صورة من صور التعليم المستمر على مستوى عال، تقدم لطلاب المدارس العليا والجامعة، بعضها ليس فى صورة نظامية، وبعضها الآخر وإن كان فى صورة نظامية، إلا أنه كان أشبه بالدراسات الحرة التى تؤهل لوظيفة بعينها، وظهر هذا فى شكلين، أولهما خاص بنادى المدارس العليا، والثانى فى صورة الجامعة الأهلية.

نادى المدارس العليا:

صحيح أن مثل هذه المؤسسة لم تكن «تعليمية»، لكن كان لها دور كبير فى تزويد طلاب التعليم العالى فى مصر بكم غير قليل من المعارف والمعلومات العامة التى تتصل بالمصلحة الوطنية العامة. وقد كان افتتاح النادى فى الخامس من أبريل عام ١٩٠٥، حيث كان للحزب الوطنى دور فى التشجيع على قيامه، وقد أقيم فى مبنى

كامل فى العقار رقم ٤ بشارع قصر النيل[١٠٥]، وكان مبنى فسيحا يضم الغرف الرحبة والقاعات المتعددة، تحيط بها حديقة غناء، وخصص من قاعاته واحدة للمكتبة، وثانية للاجتماع والمحاضرة، وثالثة للبلياردو وألعاب التسلية المنزلية.. وهكذا

ويذكر فتحى رضوان فى كتاب له عن مصطفى كامل أن يوم افتتاح النادى كان «عيدا من أعياد مصر القومية» ، حضره وزير المعارف ووكلاؤها وسكرتير الوزارة الإنجليزى ومحافظ العاصمة، ونظار المدارس العليا ووكلاؤهما.

وافتتاح ناد فى حد ذاته ليس بالشئ العظيم، لولا أن نجاح فكرته وتنفيذها فى ذلك الوقت، وإقبال الطلاب عليه كان فى نجاح مطرد، واستمرار زيادة أعضائه وثبات العمل فيه وتنوعه وانتظام المحاضرات، وتردد كبار الشخصيات عليه، واختلاط خريجى المدارس العليا من مستشارين وقضاة ومحافظين، وأطباء ومهندسين بطلاب المدارس العليا، وتحدث الكبار إلى الصغار، واستفسار الصغار من الكبار وإبداء الاقتراحات لهم، والتعبير عن نقد الأحوال الجارية، كل ذلك جعل من هذا النادى دار ندوة سياسية ووطنية ودارا للبحث والمناقشة، وخرجت منه الأفكار الاجتماعية والمشروعات الوطنية وتعددت وتنوعت [١٠٦].

وكان لمحمد فريد اهتمام واسع بالاطلاع ، مشغوفا باقتناء الكتب، كما كانت له مكتبة نفيسة تحوى مجموعة كبيرة من الكتب القيمة فى التاريخ والأدب السياسة والاجتماع، وقد فكر فى إهداء النادى هذه المكتبة حتى يعم النفع بها، فبدأ فى أكتوبر عام ١٩٠٨ بإهدائه خمسمائة كتاب، اختارتها لجنة من أعضاء النادى، وفى سنة ١٩١١ أهدى فريد إلى النادى جميع الكتب التى احتوتها مكتبته[١٠٧].

وكتب عبد الرحمن الرافعى فى مذكراته يقول موضحا الأثر التعلمى الكبير للنادى عليه وعلى غيره من طلاب وخريجى المدارس العليا : «وكان اجتماعنا بالخريجين مما زاد فى نضجنا العلمى الثقافى، وتعددت المحاضرات، والاجتماعات فى النادى، فكان لنا شبه معهد علمى عال أكملنا فيه دراستنا وزاد من ثقافتنا، وقد أفدت منه كثيرا، وكانت به مكتبة غنية بالكتب والصحف والمجلات ساعدتنى على

توسيع مداركى وترقية أفكارى : ، وقد أصدرت السلطة العسكرية الإنجليزية قرارا بإغلاق النادى عام ١٩١٤، بحجة ظروف قيام الحارب العالمية الأولى(١٠٨).

الجامعة الأهلية:

عندما أنشئت الجامعة الأهلية فى عام ١٩٠٨، لم تتخذ الشكل التقليدي المعروف لدينا، وإنما كانت أشبه بمركز ثقافى علمى يبث دروسا عامة للتثقيف والتنوير، وليس بهدف التأهيل لشغل وظائف معينة فى كادر العاملين، ولعل هذا أحد العوامل الأساسية التى جعلت الطلاب ينصرفون عنها بعد ذلك، معتمدين على الصيغة التى كانت قائمة للتعليم العالى وهى صيغة المدارس العليا باعتبارها معاهد مهنية تعد لوظائف لها مكانها فى سوق العمل.

ومن هنا فقد نظرنا إليها باعتبارها صورة من التعليم المستمر وإن لم يذكر هذا المصطلح فى ذلك الوقت. ولعل ما سوف نشير إليه من أمر الدور الذى قامت به هذه الجامعة فى سنواتها الأولى ما يؤكد على ذلك، فقد اتفق على أن تبدأ الدراسة بها بأربعة دروس فقط هى : تاريخ الحضارة القديمة فى الشرق،وتاريخ الحضارة الإسلامية، وتاريخ الآداب العربية، وتاريخ الآداب الفرنسية والإنجليزية(١٠٩) .

وتأمل هذه المقررات يشير إلى نوعية من الدراسات التى يمكن أن تدخل فى باب «الثقافة الأرستقراطية»، إذا صح هذا التعبير ، ويتسق هذا مع المجموعة التى خططت للخطوات الأولى لمسيرة الجامعة، فقد كان جلهم من الأرستقراطية المصرية الذين ينظرون إلى المعرفة تلك النظرة التى تجعل منها مجرد تنوير عقلى، وليست وسيلة تعين على مجابهة مشكلات العمل والإنتاج والمجتمع.

واتفق على أن تكون الدراسة مسائية بين الخامسة والثامنة، وأن تقبل الجامعة خريجى المدارس العليا، وطلبة الأزهر ودار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى.

وقد قسم الطلاب إلى قسمين : طلبة منتسبون من خريجى المدارس العليا والخصوصية والأزهر وغيرهم ممن يلتحقون بالدراسة بنية الاستمرار على حضور درس واحد فأكثر للحصول على شهادة أو لقب علمى ، وطلبة مستمعون متطوعون ممن يطلبون ذلك ويدفعون الرسم المقرر عنها(١١٠).

ومن المهم أن نتوقف بعض الشئ أمام نوعية الذين التحقوا بدروس الجامعة الأهلية فى بدء خطواتها لنتأكد مرة أخرى من صيغة التعليم فيها الذى أشرنا إليه فقد التحق بها ٢٥٨ من طلاب المدارس، و٢٤٣ من موظفى الحكومة، و٦٩ من معلمى المدارس، و٤٢ من طلاب الأزهر، و١٩ من رجال القضاء، و١٥ صحافيا، و١٨ تاجرا، وعدد محدود من كبار موظفى الدولة، وضباط الجيش والبحرية، وأصحاب المهن الحرة(١١١).

لكن الجامعة أدخلت فى العام التالى دروسا أخرى فى العلوم الطبيعية وعلم مقارنة اللغات ومنهج البحث التاريخى، والأدب الفرنسى(١١٢).

ومن أهم الخطوات التى اتخذتها الجامعة حقا تلك الدروس التى نظمتها للنساء، وهى كانت فى صورة محاضرات عامة قسمت على النحو التالى (١١٣):

- محاضرات باللغة الفرنسية فى التربية والأخلاق تولت أمرها الآنسة «كروفر» المدرسة بمدرسة راسين بباريس.
- محاضرات باللغة العربية فى تاريخ مصر القديم، تولت أمرها المربية المصرية الشهيرة نبوية موسى،والتى كانت ناظرة مدرسة المعلمات.
- التدبير المنزلى، درستها : رحمة صروف.

وفى هذا السياق أيضا قام عدد من الأطباء المصريين والأجانب بإلقاء بعض المحاضرات العامة على الدراسات فى الجوانب الصحية على وجه العموم وما يتصل بصحة الأطفال على وجه الخصوص.

لكن الجامعة لم تستمر على هذا النهج ، إذا سرعان ما أخذت تسير على الطريق النظامى الذى يركز على تدريس مقررات وفق مناهج محددة، إلى غير هذا وذاك من سمات التعليم النظامى بشكله المعروف.

هذه هى الخطوات الأولى التى شهدتها مصر على طريق تعليم الكبار بأشكال لم تكن مماثلة بطبيعة الحال مع ما نعرفه حاليا من صور وأشكال، لكنها فى عمومها تسير على الطريق نحو تحقيق بعض أهداف هذا النوع من التعليم، فكان أن وصفناها بأنها جهود صبت فى مجال التنوير التربوى العام.

الهوامش والمراجع

(١) رفاعة رافع الطهطاوى : المرشد الأمين للبنات والبنين، فى (الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى، دراسة وتحقيق محمد عمارة، بيروت)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت ج٢، ص ٢٩٢.

(٢) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر، عصر عباس وسعيد، القاهرة ، وزارة المعارف العمومية، ١٩٤٥ ، ص ١٧٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٠

(٤) عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨، ج ١، ص ٢٩٨.

(٥) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر، عصر إسماعيل، ص ٤٢.

(٦) المرجع السابق، ص ٨٠

(٧) رفاعة الطهطاوى : تلخيص الإبريز فى تلخيص باريز، الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ج٢، ص١٩.

(٨) رفاعة الطهطاوى : المرشد الأمين، ص ٣٩٦.

(٩) التعليم الإلزامى والتعليم المجانى، مقال بدون توقيع، مجلة الهلال، القاهرة، دار الهلال، العدد الصادر فى ١/ ١/ ١٩٠٨.

(١٠) وزارة المعارف العمومية : تقرير لجنة التعليم الأولى ومشروع القانون المختص بوسائل تعميمه، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٩، ص ١٠٩.

(١١) حسان محمد حسان : اتجاهات الفكر التربوى فى مصر من ١٩٢٣ حتى ١٩٥٢، رسالة ماجستير، القاهرة، كلية التربية بجامعة عين شمس، ص ٢٣٢.

(١٢) المرجع السابق، ص ٢٣٣

(١٣) زكى مبارك : رأى صريح فى التعليم الإلزامى، مجلة الهلال، يونية ١٩٤٠.

(١٤) عبد المنعم شميس : فهاوى الأدب والفن فى القاهرة، دار المعارف، سلسلة إقرأ (٥٦٣)، ١٩٩١، ص٢٢،

(١٥) المرجع السابق، ص ٢٤.

(١٦) المرجع السابق، ص٩٦.

(١٧) عبد الرحمن الرافعى : جمال الدين الأفغانى، القاهرة، دار الكاتب العربى، سلسلة أعلام العرب (٦١)، د١٠، ص ١٥.

(١٨) محمود قاسم : جمال الدين الأفغانى، حياته وفلسفته، القاهرة، الأنجلو المصرية، د.ت، ص ٢٦.

(١٩) المرجع السابق، ص ٢٧

(٢٠) عبد الرحمن الرافعى ، جمال الدين الأفغانى، ص ١٨.

(٢١) عباس محمود العقاد : محمد عبده، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، سلسلة أعلام العرب (١)، ١٩٦١، ص ١٢٥.

(٢٢) عبد الخالق محمد لاشين : سعد زغلول، دوره فى السياسة المصرية حتى سنة ١٩١٤، القاهرة دار المعارف، ص ٢٦.

(٢٣) عبد الرحمن الرافعى، جمال الدين الأفغانى، ص ١٥٢.

(٢٤) أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث، القاهرة ، مكتبة النهضة امصرية، ١٩٤٩، ص ٧١.

(٢٥) الرجع السابق، ص ٧٥.

(٢٦) عبد الخالق لاشين، مرجع سابق، ص ٣٥.

(٢٧) وديع فلسطين : مى، حياتها وصالونها وأدبها، القاهرة، دار المستقبل، د.ت، ص ١١.

(٢٨) على الحديدى : عبدالله النديم، خطيب الوطنية، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، سلسة أعلام العرب (٩)، ١٩٦٢، ص ٨٥.

(٢٩) المرجع السابق، ص ٨٦.

(٣٠) المرجع السابق ص ٨٩.

(٣١) الأهرام فى ١٤/ ٣/ ١٨٨٥

(٣٢) اللواء، فى ٢/ ٤/ ١٩٠٠.

(٣٣) علية على فرج : التعليم فى مصر بين الجهود الأهلية والحكومية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٧٩، ص ١٥٩

(٣٤) سعيد إسماعيل على السيد : الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية للفكر التربوى فى مصر فى الفترة من ١٨٨٢ ـ ١٩٢٣، رسالة دكتواره، القاهرة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٦٩، ص٢٠٠.

(٣٥) عنتر لطفى محمد : الجهود الأهلية فى التعليم المصرى من سنة ١٨٨٢ إلى ١٩٢٣، رسالة ماجستير، القاهرة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٧٩، ص ١٣٠.

(٣٦) سعيد إسماعيل على السيد، مرجع سابق، ص ١٩٩.

(٣٧)محمد رشيد رضا : مجلة المنار، ربيع الأول، ١٣١٨هـ ، ص ٢٩٤.

(٣٨) أسمهان السيد عيسى : الجهود التربوية لجمعيات الشبان المسلمين، رسالة ماجستير، القاهرة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٨٨، ص ٧٩.

(٣٩) المرجع السابق، ص ٨٢.

(٤٠) الرجع السابق، ص ١٧١

(٤١) المرجع السابق، ص ٢١٣.

(٤٢) عنتر لطفى، مرجع سابق، ص ١٤٥.

(٤٣) المرجع السابق، ص ١٤٨.

(٤٤) اللواء، العدد ١٠٠٧، ١٩٠٣.

(٤٥) أحمد حسن عبيد : تعليم الكبار عبر العصور، فى (علم تعليم الكبار، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٦، ج١)، ١٢٥.

(٤٦) حلمى أحمد شلبى : الأقباط والإصلاح الاجتماعى فى مصر، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٩٢، ص٢١.

(٤٧) عنتر لطفى، مرجع سابق، ص١٥٢.
(٤٨) حلمى أحمد شلبى : مرجع سابق ص ٥٩.
(٤٩) جمعية التوفيق القبطية : الكتاب الماسى، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢.
(٥٠) الرجع السابق، ص٤٢.
(٥١) المرجع السابق، ص ٢٦.
(٥٢) المرجع السابق، ص ٢٩.
(٥٣) سعيدة محمد حسنى : اليهود فى مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، ملحق (١)
(٥٤) المرجع السابق، ص ١٢٣.
(٥٥) المرجع السابق، ص ١٣١.
(٥٦) أحمد محمد غينم، وأحمد أبو كف : اليهود والحركة الصهيونية فى مصر (١٨٩٧ ـ ١٩٤٧)، القاهرة، دار الهلال سلسلة كتاب الهلال (٢١٩) يونية ١٩٦٩، ص ٨٥.
(٥٧) سهام نصر : اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية، بيروت ، دار الوحدة، ١٩٨٠، ص ٩٢.
(٥٨) المرجع السابق، ص ٩٤.
(٥٩) المرجع السابق، ص ٩٨.
(٦٠) اليهود والحركة الصهيونية فى مصر، مرجع سابق، ص ٣٦.
(٦١) عبد السلام أحمد إبراهيم : النشاط التربوى لليهود فى مصر منذ أوائل القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، القاهرة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٩٨، ص١٠٦.
(٦٢) سعيدة محمد حسنى، مرجع سابق، ص ١٢٩.
(٦٣) عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، مرجع سابق، ص ٢٤٢.
(٦٤) المرجع السابق، ص ٢٣٣.
(٦٥) المرجع السابق، ص ٢٤٤.
(٦٦) المرجع السابق، ص ٢٤٤.
(٦٧) علية على فرج، مرجع سابق، ص ١٧٣.
(٦٨) المرجع السابق، ص ١٧٤.
(٦٩) صبحى عطا لله سيف، وصلاح الدين محمود فائق : حركة محو الأمية فى جمهورية مصر العربية، القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ت، ص ٨.
(٧٠) وزارة المعارف العمومية : تقرير يبين حال التعليم الذى تتولاه الوزارة أو تشرف عليه من سنة ١٩١٧ إلى مسية ١٩٢٢، ص ١٧.
(٧١) حركة محو الامية فى جمهورية مصر العربية، مرجع سابق، ص ٩.
(٧٢١) أحمد حسن عبيد، مرجع سابق، ص ١٢٦.
(٧٣) سعيد أحمد سليمان محمد : دراسة تحليلية تقويمية لجهود محو الأمية فى مصر منذ العشرينيات من هذا القرن حتى الآن، رسالة ماجستير، الإسكندرية، كلية التربية ، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٩، ص ١٩.
(٧٤) المرجع السابق، ص ٢٠

(٧٥) محمد على علوبة : مبادئ فى السياسة المصرية ، القاهرة ، مطبعة دارالكتب المصرية ، ص ١٠٢ .

(٧٦) المرجع السابق، ص ٢٤٢

(٧٧) حافظ عفيفى : على هامش السياسة، القاهرة، مطبعة دارالكتب المصرية، ١٩٣٨، ص ١٠٢.

(٧٨) المرجع السابق ، ص ١٧٧

(٧٩) فتحى رضوان، مرجع سابق ٤٤.

(٨٠) المرجع السابق، ص ٦١.

(٨١) عبد الرحمن الرافعى، محمد فريد، ص ٧١.

(٨٢) المرجع السابق، ص ٧٢.

(٨٣) عبد الرحمن الرافعى، مذكراتى، ص ١٦.

(٨٤) صبرى أبو المجد : محمد فريد، القاهرة، دار الهلال، سلسلة كتاب الهلال (٢٢٣)، أكتوبر ١٩٦٩، ص ١٤٧.

(٨٥) أنور الجندى : عبد العزيز جاويش، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، سلسلة أعلام العرب (٤٤)، أغسطس ١٩٦٥، ١٧٦.

(٨٦) المرجع السابق، ص ١٧١.

(٨٧) حسن الشيخة : عبد العزيز جاويش، القاهرة، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦١ ص ٤٢.

(٨٨) أنور الجندى، مرجع سابق، ص ١٧٨.

(٨٩) يونان لبيب رزق : الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٧٠، ص ٢٢١.

(٩٠) أنور الجندى، ص ١٨٨

(٩١) المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٩٢) حسن الشيخة ، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٩٣) أمين عز الدين : تاريخ الطبقة العاملة المصرية منذ نشأتها حتى سنة ١٩١٩، القاهرة، دار الكاتب العربى، ١٩٦٧، ص٦٨.

(٩٤) رؤوف عباس : الحركة العمالية فى مصر، القاهرة، دار الكاتب العربى، ١٩٦٨، ص ٦٠

(٩٥) أمين عز الدين، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٩٦) المرجع السابق، ص ١٣٠.

(٩٧)حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية، القاهرة، دارالشهاب، د.ت ص ٦٦.

(٩٨)المرجع السابق، ص ١٣٠.

(٩٩) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمين، أحداث صنعت التاريخ، القاهرة، دار الدعوة، ١٩٧٩، ج١ ص ٢٥٦.

(١٠٠) فريد عبدالخالق : الأخوان المسلمين فى ميزان الحق، القاهرة، دار الصحوة، ١٩٨٧، ص ١٩٢.

(١٠١) إبراهيم زهمول : الإخوان المسلمون، أوراق تاريخية، بدون بيانات النشر،ص ٢٠.

(١٠٢) المرجع السابق، ص ٢٥.

(١٠٣) أحمد ربيع عبد الحميدخلف الله : الفكر التربوى وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمون، رسالة ماجستير، القاهرة، كلية التربية، ؛جامعة الأزهر ، ١٩٨٢، ص ٢٣١.

(١٠٤) الرجع السابق، ص ٢٤١

(١٠٥) فتحى رضوان : مصطفى كامل، القاهرة دار المعارف، سلسلة إقرأ (٣٩٠) ديسمبر ١٩٧٤، ص ٢٠٣

(١٠٦) المرجع السابق، ص ٢٠٤.

(١٠٧) عبد الرحمن الرافعى : بطل الكفاح الشهيد محمد فريد، القاهرة، دار الهلال ، سلسلة كتاب الهلال (٧٠)، يناير ١٩٥٧، ص ١٦٢.

(١٠٨) عبد الرحمن الرافعى : مذكراتى، اقاهرة، دارالهلال ، ١٩٥٢، د.ت ص١٠.

(١٠٩) رؤوف عباس أحمد : تاريخ جامعة القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين (٧٣)، ١٩٩٥، ص ٣٩.

(١١٠) المرجع السابق، ص ٤٩.

(١١١) سامية حسن سيد إبراهيم : الجامعة المصرية ودورها فى الحياة السياسية ١٩٠٨ - ١٩٤٦، رسالة دكتوراه، القاهرة، كلية البنات، جامعة عين شمس ، ١٩٨٣، ص ٧٩.

(١١٢) تاريخ جامعة القاهرة، مرجع سابق، ص ٤٢.

(١١٣) أحمد عبد الفتاح بدير : الأمير أحمد فؤاد ونشزة الجامعة المصرية، القاهرة، بدار المعارف، ١٩٥٠، ص ١٦٨.